أثر الغزو البرتغالي للخليج العربي على العلاقات السياسية بين مملكة هرمز وإمارة الجبور (١٥٠٧- ١٦٢٢م)(*)

الباحثة/ فاطمه حمد المزروعى
باحثة ماجستير
قسم التاريخ والحضارة الإسلامية
كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية
جامعة الشارقة

د. عبد الله سليمان المغنى
أستاذ مشارك قسم التاريخ والحضارة الإسلامية
كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية-جامعة الشارقة

الملخص

المتفقد والقارئ لسطور التاريخ العربي الخليجي يجد أن الغزو البرتغالي لمنطقة الخليج العربي كان سببًا في التدهور الاقتصادي، وعانت الموانئ العمانية من آثار ذلك التدهور بعد ما كان لها من أهمية بالغة في تجارة المحيط الهندي، وكان بحارتها على درجة عالية من الكفاءة، كما أنه بمجرد انحسار القوى الاستعمارية عن طريق زوال نفوذها السياسي والعسكري أدى إلى ظهور قوى جديدة لتقيم إمبراطوريات جديدة تستغل تفوقها التكنولوجي والفني للوصول إلى نفس الهدف وهو امتصاص الثروات الطبيعية والسيطرة على الشعوب. ومن خلال هذا البحث يهدف الباحث إلى الوقوف على مدى أهمية الخليج العربي والتنافس الدولي له و توضيح الأهمية الجغرافية والاستراتيجية لكل من مملكة هرمز وإمارة الجبور، وأبرز البحث الأهمية التاريخية لكل من مملكة هرمز وإمارة الجبور وما مدى تأثير العلاقات بين الطرفين بالغزو البرتغالي لمملكة هرمز، وتم توضيح مصير العلاقات بين الطرفين عقب خروج البرتغال من هرمز والخليج العربي. وعن أهم النتائج التي تم التوصل لها من خلال هذا البحث فكانت:

١. تتبع أهمية الخليج العربي الرئيسية في كونه أحد أهم طرق التجارة العالمية عبر العصور المختلفة وذلك يعود لعدة عوامل منها: العامل الجغرافي ويأتي هذا العامل في مقدمة الأسباب الخاصة بازدهار التجارة والملاحة في حوض الخليج العربي.

أن الغزو البرتغالي لمنطقة الخليج العربي كان سببًا في التدهور الاقتصادي الذي ألم بها، وعانت الموانئ العمانية من آثار ذلك التدهور حيث كانت أول الموانئ في الخليج تعرضا لذلك الغزو بعد ما كان لها من أهمية بالغة في تجارة المحيط الهندي وكان بحارتها على درجة عالية من الكفاءة.

(*)**مجلة المؤرخ المصرى، عدد يوليو ٢٠٢٣، العدد الثالث والستون.**

The impact of the Portuguese invasion of the Arabian Gulf on the political relations between the Kingdom of Hormuz and the Emirate of Jabour (1507-1622)

Abstract:

The observer and reader of the lines of Arab Gulf history finds that the Portuguese invasion of the Arabian Gulf region was a cause of economic deterioration, and the Omani ports suffered from the effects of that deterioration after they were of great importance in the Indian Ocean trade and their sailors were highly qualified, just as the colonial powers receded Through the demise of its political and military influence, it led to the emergence of new powers to establish new empires that exploit their technological and technical superiority to reach the same goal, which is to absorb natural resources and control peoples. Through this research, the researcher aims to, and through the research, the extent of the importance of the Arabian Gulf and the international competition for it and its calls for the Ottoman presence, and then clarify the geographical and strategic importance of both the Kingdom of Hormuz and the Emirate of Jabour, and the research highlighted the historical importance of each of the Kingdom of Hormuz and the Emirate of Jabour and the extent of the impact of relations Between the two parties, the Portuguese invasion of the Kingdom of Hormuz, and the fate of the relations between the two parties was clarified after Portugal left Hormuz and the Persian Gulf.

And the most important results reached through this research were:

1. The main importance of the Arabian Gulf stems from its being one of the most important global trade routes through the different ages, due to several factors, including: The geographical factor, and this factor comes at the forefront of the reasons for the prosperity of trade and navigation in the Arabian Gulf basin.
2. The Portuguese invasion of the Arabian Gulf region was the cause of the economic deterioration that afflicted it, and the Omani ports suffered from the effects of that deterioration, as it was the first port in the Gulf to be subjected to that invasion after it was of great importance in the Indian Ocean trade and its sailors had a high degree of skill. efficiency.

مقدمــة

الخليج العربي واحد من الطرق الرئيسة للمواصلات في العالم القديم الذي يربط بين الشرق والغرب، يشاركه في ذلك البحر الأحمر، وهما بموقعهما

الجغرافي يشكِّلان الذراعين العربيتين المائيتين اللتين تربطان أوروبا بالهند، منه عبرت منتجات الصين والهند إلى الأسواق في فارس والشام وبالعكس، ومنه أيضًا عبرت السلع الواردة من الجزيرة العربية وأوروبا إلى الهند والشرق الأقصى، فازدهرت على ضفافه المدن التجارية، وتقاسمت الوجود فيه قوى سياسية فاعلة، كانت العلاقات بينها تتجاذب سلمًا وحربًا.

وقد كان للبرتغاليين أطماع مبيّتة في هذه المنطقة التجارية المهمة، واقترن نشاطهم في الخليج بحركة الكشوف الجغرافية الكبرى، حيث كان من الأهداف الاستعمارية المبكرة للبرتغال الوصول إلى الهند والشرق الأقصى مباشرة دون توسُّط المسلمين والبنادقة في نقل التجارة، وقد تمكَّن البرتغاليون من تثبيت أقدامهم على سواحل الهند سنة ١٥٠٥م حينما أسَّسوا حكومة يرأسها نائب الملك، كما كان من أهدافهم إغلاق الطريقين البحريين المهمين والخليج أحدهما.

وقد ركز البرتغاليون اهتمامهم على مملكة هُرمز أساسًا التي كانت تضم الجزيرة المسماة بهُرمز، وتشكل رمزًا للوجود العسكري البرتغالي، أكثر من كونها رمزًا للاستعمار، وتميزت الحياة السياسية في مملكة هرمز أن هناك أسرًا متنفذة يعين منها الوزراء؛ فيخلف الأب ابنه أو الأخ أخاه؛ ومن الملفت أن جميع هذه الأسر حملت ألقابًا تدل على الانتماء إلى مدينة أو منطقة؛ ويبدو أن ذلك كان جزءا من طبيعة الحياة الثقافية في مملكة هرمز.

ومع بداية الغزو البرتغالي للخليج العربي كانت هناك قوتان متنافستان، هما مملكة هرمز والإمارة الجبرية، أمَّا عُمان فكانت تعاني أوضاعًا سياسية غير مستقرة بسبب الصراع بين النبهانيين والأباضية. لقد أدَّى وصول البرتغاليين بصفتهم أول قوة أجنبية عظمى تسيطر على أنحاء الخليج وعُمان إلى تغيير ميزان القوى الإقليمي بالكامل مطلع القرن السادس عشر، وكانت هرمز مملكة ثرية بسبب موقعها الاستراتيجي، الذي حولها إلى مركز مستودعات البضائع من ملقا وإندونيسيا وكاليكوت وملبار وسواحل شرق أفريقيا إلى الغرب، إلا أنها تفتقر إلى القوة العسكرية، ولم تستطع الحفاظ على

استقلالها في مواجهة القوى الكبرى في المنطقة –خصوصًا في البر الفارسي مع الدولة الصفوية الناشئة– سوى دفع الإتاوات والضرائب التي عليها سنويًّا لتفادي العدوان، فكانت تدفع للصفويين مبلغ ٢٠٠٠ أشرفي سنويًّا بالإضافة إلى الهدايا العظيمة، كان يدفعها الوزير خواجة عطار باسم الملك سيف الدين أبا النصر، وبذلك استطاع الاحتفاظ باستقلال المملكة لبعض الوقت وكانت الصراعات الأسرية داخل البيت الهرمزي قد مكنت الجبور من انتزاع الإحساء والقطيف منهم والحصول على جزر البحرين بموجب اتفاق سياسي مع ملك هرمز سنة ١٤٧٦م وقد استمرت النزاعات الأسرية حتى قبيل وصول البرتغاليين سنة ١٥٠٧م.

أما الجبور كانوا يحكمون إقليم البحرين قبل وصول البرتغاليين لمدة تزيد عن ١٥٠ عامًا، وتعد تلك الإمارة الوحيدة من الكيانات السياسية في المنطقة التي لم تخضع للبرتغاليين وكان وصول البرتغاليين إلى المنطقة في عهد السلطان محمد بن أجود الجبري، وقد أعقبه في الحكم ابن أخيه الأمير مقرن بن زامل ولا يعرف تاريخ استلامه الحكم، إلا أنه كان آخر حكام الدولة الجبرية التي انتهت مع سقوط البحرين بيد البرتغاليين سنة ١٥٢١م.

تعاظمت قوة الجبور في شرق الجزيرة العربية، مستغلين بداية انحسار وضعف نفوذ مملكة هرمز، وتمكَّنوا من التحكُّم السياسي بالمنطقة لمدة تزيد على مئة وخمسين عامًا حتى مجيء البرتغاليين، غير أنَّ التحدي الأهم الذي واجهته الإمارة الجبرية هو وقوعها عند حدود القوى الإسلامية الثلاث الكبرى المتصارعة آنذاك في المشرق الإسلامي في وقت ظهور الغزو البرتغالي وهي (الصفويون، والعثمانيون، والمماليك)، وكان لا بدَّ للجبور أن يحدِّدوا موقفًا ممَّا كان يدور حولهم بين هذه القوى من حروب وهزائم وقد تزامن وصول الغزو البرتغالي مع وجود السلطان (محمد بن أجود) على رأس السلطة في إمارة الجبور.

٣. أهمية البحث:

إن العلاقات السياسية بين إمارات الخليج العربي أثناء الغزو البرتغالي له

دور كبير في المنطقة وخاصة بين مملكة هرمز وإمارة الجبور في الفترة ١٥٠٧- ١٦٢٢ م، ومن خلال البحث سوف نطرح عدة موضوعات بحثية مختلفة تحتاج الى دراسة مفصلة ودقيقة للوصول الى أهم الأسباب التي جعلت من الخليج العربي مطمعًا للاستعمار والسياسة البرتغالية بين مملكة هرمز وإمارة الجبور ومدى تأثير العلاقات بين الطرفين بالغزو البرتغالي لمملكة هرمز.

٤.أهداف البحث:

١. الوقوف على مدى أهمية الخليج العربي والتنافس الدولي حوله ومناوءة الوجود العثماني به.
٢. توضيح الأهمية الجغرافية والاستراتيجية لكل من مملكة هرمز وإمارة الجبور.
٣. الأهمية التاريخية لكل من مملكة هرمز وإمارة الجبور.
٤. إيضاح مدى تأثر العلاقات بين الطرفين بالغزو البرتغالي لمملكة هرمز.
٥. بيان مصير العلاقات بين الطرفين عقب خروج البرتغال من هرمز والخليج العربي.

٥- مشكلة البحث:

تسعى الدراسة إلى الإجابة عن العديد من التساؤلات، ومن أهمها الآتي:

١. ما الأسباب التي دفعت البرتغال إلى غزو مملكة هرمز؟
٢. كيف تمكن الغزو البرتغالي من فرض هيمنته على مملكة هرمز؟
٣. ما طبيعة العلاقات السياسية بين كل من مملكة هرمز وإمارة الجبور؟
٤. ما طبيعة الكيانات السياسية المحلية لهما وأثرها على العلاقات بينهما؟
٥. إلى أي مدى تأثرت العلاقات السياسية بين الطرفين بالغزو البرتغالي؟
٦. كيف سارت العلاقات السياسية بين كل من مملكة هرمز وإمارة الجبور من ناحية وبين إمارات الخليج العربي من ناحية أخرى في ظل الغزو البرتغالي؟

٧. ما طبيعة العلاقات الاقتصادية بين مملكة هرمز وإمارة الجبور؟
٨. إلى أي مدى تأثرت العلاقات الاقتصادية بين الطرفين بالغزو البرتغالي؟
٩. كيف سارت العلاقات الاقتصادية بين كل من مملكة هرمز وإمارة الجبور من ناحية وبين إمارات الخليج العربي من ناحية أخرى في ظل الغزو البرتغالي وعقب خروجه من الخليج العربي؟

لهذه الاسباب كلها تم اختيار هذا الموضوع لتسليط الضوء على العلاقات السياسية بين منطقة إمارات الخليج العربي ومملكة هرمز وإمارة الجبور في ظل الغزو البرتغالي.

٦- منهج البحث:

سيعتمد البحث على المنهج التاريخي القائم على استقصاء كافة المعلومات المتعلقة بالموضوع في الوثائق والمخطوطات المتوفرة إلى جانب الكتب التاريخية التي تحمل في طياتها أهم الأحداث والوقائع التي حدثت في تلك الفترة من ١٥٠٧- ١٦٢٢م، وستخضع جميعها إلى النقد والتحليل واستخراج ما فيها من حقائق مثبتة العلاقات السياسية بين مملكة هرمز والإمارة الجبرية.

٧. الدراسات السابقة:

دراسة: التميمي، حيدر عبد الرضا حسن (٢٠١٦) بعنوان: مملكة هرمز في ظل الاحتلال البرتغال ١٥٠٠، 1622، دار ومكتبة عدنان للطباعة والنشر، تناولت الدراسة الأوضاع العامة في الخليج العربي في الحقبة التي سبقت دخول البرتغاليين للمنطقة مطلع القرن السادس عشر الميلادي، من خلال دراستهم لأهم المراحل التي مر بها ذلك الغزو، الذي جاء إثر الاستكشافات الجغرافية، ومن ثم وصولهم إلى الهند حتى غزوهم الخليج العربي، فتجمعت للدارسين معلومات مهمة عن كل مرحلة من مراحل الغزو البرتغالي في المحيط الهندي والخليج العربي، وأهمية مملكة هرمز قبل الغزو البرتغالي وبعده، وما وصلت إليه آنذاك من نفوذ سياسي واقتصادي جعلها من أكبر الكيانات السياسية الموجودة في الخليج العربي من خلال سيطرتها على عدة مدن ومراكز منه،

والأهمية التي شكلتها في التأثير المباشر على أوضاع المنطقة من جهة وعلى تحكمها بطبيعة الوجود البرتغالي فيها من جهة أخرى، وانعكاس ذلك على طبيعة أوضاعها الداخلية والخارجية، ورغبةً مني للمساهمة المتواضعة في كتابة تاريخ الخليج العربي وإكمال حلقاته المفقودة.

دراسة: قاسم، جمال زكريا، (٢٠٠٠) الغزو البرتغالي للجنوب و الخليج العربي في الفترة ما بين ١٥٠٧– ١٥٢١، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم– معهد البحوث والدراسات العربية، يتناول فيه الغزو البرتغالي للجنوب العربي والخليج وسيرة البرتغاليين في سواحل هذه المنطقة والحروب التي شنوها وأخبار المقاومة والثورات الوطنية ضد البرتغاليين في المنطقة التي كتب لبعضها النجاح الذي أفسده في كثير من الأحيان التنافس الأقليمي على السلطة والنفوذ كما تناول المؤلف سيرة البرتغاليين في المشرق العربي الإسلامي الذي يعد موضوعًا محوريًّا عامًّا يجب أن يظل في دائرة الضوء على الدوام لما يمثله من أهمية سياسية وبعد حضاري، فالبرتغاليون هم أول الوافدين الغربيين إلى الشرق بأساطيلهم ومدافعهم، وما كانت مياه الشرق وطرقه البحرية تعرف قبل وصولهم إلى هذه المناطق، واعتمد المؤلف على العديد من المصادر المخطوطة والكتب والمذكرات البرتغالية المترجمة من مصادرها مباشرة، إضافة إلى بعض المصادر والمراجع العربية والفارسية المهمة، وكانت العبارات التي تكتب على زجاجات الأدوية في الممالك والأقاليم الأوروبية خلال البواكير الأولى من عصر النهضة مثل (وارد من بلاد الهند أو وارد من بلاد العرب) تلهب حماس الكثيرين خصوصًا من المغامرين والباحثين عن الثراء، وتدفعهم للتساؤل والبحث والسفر لاكتشاف موطن تلك الثروة من المواد الطبيعية كالتوابل والعطور القادمة من الشرق.

دراسة: المغيرية، الغالية بنت سالم بن خليفة، (٢٠٠٦) الصراع البرتغالي الفارسي العثماني على جزيرة هرمز (١٥٠٧– ١٦٢٢)، رسالة ماجستير، جامعة السلطان قابوس، تتناول هذه الدراسة الصراع البرتغالي– الفارسي– العثماني على جزيرة هرمز خلال الفترة بين ١٥٠٧ و١٦٢٢م، واتبعت الباحثة

فيها المنهج التاريخي الوصفي والمنهج التحليلي الذي يستند على جمع المادة التاريخية من المصادر الأولية كالوثائق الأرشيفية والمذكرات والتقارير وغيرها، والاستقصاء عن الحقائق التاريخية وتمحيصها وتحليلها للوصول إلى النتائج، وأعتمدت الدراسة كذلك على المراجع المتوفرة، التاريخية منها والسياسية والتي يمكن الاستفادة منها في البحث. قسمت الباحثة دراستها إلى تمهيد وأربعة فصول وخاتمة. تناول التمهيد نبذه تاريخية عن مملكة هرمز التي قامت في جزيرة جيرون، وهي تعد امتدادًا تاريخيًّا لهرمز القديمة التي قامت في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي. وأبرز التمهيد أهمية الجزيرة وموقعها الاستراتيجي، وملوكها وسكانها وعمرانها، وتوسعها في الخليج العربي، وأيضا أوضاعها السياسية قبل الاحتلال البرتغالي لها، وخصص الفصل الأول للحديث عن وصول البرتغاليين إلى المشرق وحملاتهم العسكرية على جزيرة هرمز (١٥٠٧- ١٥١٥م) من خلال التركيز على الكشوفات الجغرافية البرتغالية ونتائجها، إضافة إلى الوجود البرتغالي في الخليج العربي وأسباب استهداف جزيرة هرمز، مع التركيز على أهم الحملات العسكرية عليها ونتائجها. وعالج الفصل سقوط الجزيرة في يد البرتغاليين وتحول نظام الحكم فيها من حيث الجوانب الاجتماعية والسياسية والاقتصادية. أما الفصل الثاني فقد تطرق إلى علاقة جزيرة هرمز وبلاد فارس (١٥٠٧- ١٥٢٩م) من حيث أهمية هرمز الاستراتيجية والاقتصادية بالنسبة لفارس، وردود الفعل الفارسية حيال الغزو البرتغالي للجزيرة عام ١٥٠٧م، والأوضاع السياسية في بلاد فارس في تلك الفترة، وموقفهم من الحملات البرتغالية اللاحقة للحملة الأولى. وتتبع هذا الفصل أيضا الموقف الفارسي تجاه الثورات التي قامت في الخليج خلال الفترة من (١٥١٩- ١٥٢٩م)، خاصة في جزيرة هرمز. ناقشت الباحثة في الفصل الثالث دخول العثمانيين إلى مياه الخليج (١٥٢٩- ١٥٨١م) وأسباب غياب البحرية العثمانية عن حركة الكشوفات الجغرافية التي عرفتها الدول الأوروبية ودوافع توجههم إلى الخليج بعد التسلل البرتغالي في المنطقة، كما عالجت موضوع العلاقات السياسية بين الدولة العثمانية والقوى الموجودة في الشرق الإسلامي، وكذا فتح العثمانيين لبغداد والبصرة وعدن وردود أفعال سكان

المنطقة تجاه الوجود العثماني، وألقت الرسالة أضواء على أسباب إخفاق العثمانيين في إخضاع هرمز بعد عدة حملات عسكرية، وخروجهم من مياه الخليج وأثر ذلك على الأوضاع في هرمز، وبدوره ركز الفصل الرابع على خروج البرتغاليين من هرمز والدور الإنجليزي في تحريرها (١٥٨١- ١٦٢٢م).

دراسة: السلمان، محمد حميد (٢٠١٢م) بعنوان: البصرة في مرحلة السيطرة البرتغالية على الخليج: دراسة في المصادر، مجلة آداب البصرة، ع ٦٣، جامعة البصرة – كلية الآداب. تناقش هذه الدراسة وضع البصرة إبان فترة الغزو البرتغالي للمنطقة الخليجية وماهية السيطرة عليها من الناحية العسكرية والسياسية في الفترة التي تتراوح بين أعوام ١٥٠٧ إلى عام ١٦٥٠م. كانت تهتم المصادر بمراجعة أحوال البصرة في بداية الغزو البرتغالي لدول الخليج إبان عام ١٥٠٧، ثم في فترة السيطرة البرتغالية من الجانب العسكري والسياسي والاقتصادي أيضا على كافة جوانب المثلث الذهبي التجاري لدول الخليج (هُرمز – البحرين – البصرة) أثناء القرن السادس عشر للميلاد، والذي انتهى إن بداية القرن السابع عشر للميلاد في الوقت الذي انتهى فيه السيطرة البرتغالية على إمارات الخليج بشأن الحلف الأنجلو فرنسية إبان عهد الشاه عباس الأول عام ١٦٢٢م. ومن أهم النتائج التي توصلت لها الدراسة أنه تتضح مدينة البصرة من خلال وصفها بأنها ميناء ومدينة تجارية أساسية في رأس الخليج من خلال وثائق ومراسلات القادة العسكريين البرتغاليين بين منطقة الخليج والهند، كما يشمل الأرشيف ANTI عددًا من المجموعات الصغيرة المختلفة من الوثائق وتعد مهمة تجاه الأحداث في الخليج العربي وشبه الجزيرة العربية، واحدة منها هي (رسائل من هُرمز إلى جووا دي كاسترو – Joao de Castro) الذي كان نائب الملك البرتغالي في الهند في المرحلة ما بين ١٥٤٥– ١٥٤٨ م. كما تناولت تلك الورقة بعض المعلومات المهمة حول الغزو العثماني للبصرة والعلاقات بين هُرمز والقبائل العربية في البصرة وحولها أثناء تلك المرحلة.

الغزو البرتغالي للخليج العربي:

بدأ البرتغاليون عملياتهم العسكرية في الخليج العربي في سنة ١٥٠٦م بهدف السيطرة عليه لأهميته الجغرافية والاستراتيجية بالتحكم بطرق التجارة، واستطاعوا السيطرة على الخليج العربي تدريجيًّا[١] بإسقاط مدنه مدينة تلو الأخرى بالقوة العسكرية المفرطة، فارضين سيطرتهم بصورة تعسفية، ومحتكرين التجارة والطرق التجارية لمدة قرن من الزمن بسبب السياسة التعسفية والتسلط العسكري البرتغالي. لم ترضخ حركات المقاومة العربية في الخليج العربي للغزو ، وبدأوا عمليات مقاومة للبرتغاليين، ولعبت حركات المقاومة العربية في الخليج العربي دورًا كبيرًا في إضعاف وإسقاط الوجود البرتغالي في الخليج والتخلص من هيمنتهم وعُدَّت حركات المقاومة العربية ضد البرتغاليين، من العوامل المهمة التي أدت إلى إضعاف وسقوط النفوذ البرتغالي في الخليج العربي[٢].

ويلاحظ أن منطقة الخليج العربي شهدت تطورات تاريخية بالغة الأهمية، فصلت بين حقبتين من حقب التاريخ الإقليمي للمنطقة عندما تقدم الأسطول البرتغالي بقيادة فاسكو دي غاما، وبسط سيطرته على سواحل الخليج بعد سلسلة من المعارك غير المتكافئة، وذلك في أواخر القرن الخامس عشر وأوائل القرن السادس عشر[٣].

على الرغم من تركز هدف الغزو البرتغالي في محاولة الوثوب إلى الهند، باعتبار الرغبة في السيطرة على مركز الإنتاج الشرقي، إلا أن المواجهات الحربية والفعاليات العسكرية، كان قد تبدى أثرها تحديدًا في السواحل العربية[٤]، إن كان عند مضيق باب المندب أم مضيق هرمز، وبالقدر الذي كانت فيه القوى العربية الإسلامية تعاني من الفرقة والتعدد والتبعثر، إلا أن هذا الواقع لم يكن ليشير إلى غياب روح الرفض والمقاومة من قبل القوى المحلية، بدليل أن المواجهة العسكرية كانت قد تجلت في موقف الدولة المملوكية من الغزو البرتغالي[٥]، إن كان على صعيد الدفاع عن مدخل البحر الأحمر، أم على مستوى محاولة التنسيق مع القوى الإسلامية في الهند، ومحاولة تنظيم الجهود لمواجهة الغزاة هناك، إلا أن انعدام التنسيق كان له الأثر الكبير في

تراجع حدة المواجهة، لا سيما في أعقاب هزيمة الأسطول المملوكي في معركة دايو عام ١٥٠٩م، والتي أذنت بوفود القوة المملوكية في الشرق[٦].

تركزت الخطط البرتغالية حول السيطرة على المنافذ البحرية، باعتبار السعي نحو توطيد الأسس الخاصة بالطريق الجديد (رأس الرجاء الصالح)، ومن هذا كان الاتجاه نحو السيطرة على المنافذ والممرات البحرية المتعلقة بالبحر الأحمر والخليج العربي، باعتبار السعي نحو حصار مرتكزات الأنشطة البحرية العربية الإسلامية فيما صار التركيز بعد العام ١٥٠٧م، نحو السيطرة على مناطق هرمز والبحرين والقطيف والبصرة[٧]، ومحاولة توجيه مجمل الأنشطة بما يخدم المصالح البرتغالية الساعية نحو احتكار النشاط التجاري في المنطقة، من خلال القضاء على المجمل من العلاقات التجارية والأنشطة الاقتصادية التي كانت تخص العرب المسلمين، وهكذا تم التركيز على مجال المراقبة البحرية، وتكثيف ملامح الحضور العسكري الكثيف على النشاط الذي كان يمارس من قبل أبناء المنطقة في مجالات النقل والتحميل والتبادل السلعي[٨].

جاءت الإجراءات البرتغالية مستهدفة بنية العلاقات التقليدية السائدة في منطقة الخليج العربي، لا سيما في أعقاب السيطرة على مملكة هرمز، تلك التي كانت تمثل نقطة التقاء مجمل النشاط البحري في المنطقة، حتى كان التوجه نحو سياسة القهر والعسف المبالغ فيه، عبر استخدام القوة المفرطة، من أجل فرض الضرائب ومحاولة السيطرة و الجمارك، واستحصال الأموال على السفن العابرة لهرمز، بل والتحكم في طبيعة البضائع المارة، ومنح البرتغاليين أنفسهم المكانة الأولى بالرعاية، ولم يتوقف البرتغاليون عند هذا الحد بل تطلعوا نحو فرض حضورهم على النشاط التجاري المتعلق بصيد اللؤلؤ.، أو تجارة الخيول التي كان يتم تصديرها من البصرة إلى الهند، وكانت الإجراءات البرتغالية قد بلغت من الشدة إلى الحد الذي لم تسلم فيه عموم الأنشطة السائدة في المنطقة، هذا على صعيد التحكم بسير السفن الصغيرة منها أو المتوسطة، فقد كان التركيز نحو اعتماد سياسة استحصال القدر الأكبر من الأموال، فيما كان

الهدف الرئيس قد تركز حول السيطرة على الموارد المالية التي كانت تحصلها جزيرة هرمز، بوصفها المتحكمة بالطريق التجاري الموصل إلى الهند[٩].

هرمز مفتاح الخليج العربي وأهم مركز تجاري به وكانت هرمز مملكة ذات نفوذ كبير ضمت معظم موانئ الشاطئ العماني لمدة قرنين من الزمان، فكانت تخضع لها كل من قلهات وقرياط ومسقط وصحار وخورفكان والبحرين، وقبل أن يهاجم البوكيرك هرمز عمل على تحطيم قوتها ونفوذها بتدمير المدن التابعة لها[١٠]، وعندما سار إليها البوكيرك وجدها غير تلك المدن التي دمرها وأحرقها إذ وجدها مدينة منيعة محصنة مستعدة أتم الاستعداد لمواجهته بعد أن وصلتها أنباء مبكرة وكان يحكم هرمز في ذلك الوقت الملك سيف الدين وهو ابن الاثنى عشر عامًا تحت وصاية مربية الشيخ خوجه عطار الذي عمل جاهدًا على جمع أكبر قدر من القوات من الفرس والعرب لحماية الجزيرة ورغم قوات هرمز للدفاع ضد البرتغاليين إلا أن أسلحة أعدائهم كانت أكثر قوة وتقدمًا[١١].

وشهدت العقود الأولى من القرن السادس عشر تأسيسَ الإمبراطورية البرتغالية، بعزم واحد من قبل لشبونة للسيطرة على أكثر الموانئ تحقيقًا للربح في شرق أفريقيا، وملبار، وكنكان، والخليج، ومضيق ملقا؛ ففي عام ١٥٠٧م استولى البوكيرك على سوقطرة، لتصبح قاعدة لسدِّ الطريق عن البحر الأحمر[١٢]، ومن ثمَّ حوَّل كلَّ اهتمامه إلى هرمز[١٣]، التي تسيطر على مدخل الخليج العربي، لانتزاع كلا هذين الطريقين التجاريين المهمين من قبضة المسلمين. ومنذ عام ١٥٠٧م[١٤]، تمكَّن البرتغاليون من تشديد الخناق على تجارة عمان البحرية، حين سيطروا على عدة موانئ ومدن تجارية هامة في الخليج وتشمل جلفار (إمارة رأس الخيمة في دولة الإمارات العربية المتحدة) وخصب، إضافة إلى المدن الساحلية الواقعة بين رأس الحدِّ وشبه جزيرة مسندم، وتشمل موانئ: صور، وقريات، ومسقط، ومطرح، وسيب، وصحار، وخورفكان، ودبا، وليما[١٥].

كان وصول البرتغاليين إلى المنطقة نقطة تحوُّل في تاريخ المحيط

الهندي والخليج العربي لأكثر من سبب؛ فقد سعوا خلال النصف الأوَّل من القرن السادس عشر، إلى تثبيت سيادتهم التنفيذية في المحيط الهندي بإبعاد التجَّار المسلمين، وفرضوا بوجود سفنهم البحرية المسلَّحة نظام شراء تصاريح المرور البحرية "الكرتاز" على سفن التجَّار المسلمين غير المسلَّحة[١٦]. لقد حدَّد تحوُّل التجارة الشرقية من أيدي عرب الخليج، الذين كانوا لقرون عديدة بارعين في التجارة البحرية وخوض البحار، بدايةَ الانحدار الاقتصادي في المنطقة. وعلى الصعيد الأوروبي تمكَّن البرتغاليون من تحويل تجارة التوابل من المراكز التجارية الرئيسة التقليدية في الإسكندرية والبندقية إلى لِشبونة وأنتويرب لتوزيعها في سائر أنحاء أوروبا[١٧].

لعب البرتغاليون في الواقع دورًا مميّزًا ليس فقط في تحويل النظام التجاري في المحيط الهندي، بل من حيث ميزته الأساسية وتكوينه أيضًا، وكان البرتغاليون قد استولوا على دَور الوسيط التجاري بين موانئ المحيط الهندي من أعضاء كانوا يمثلون الطور الطبيعي الفطري في التجارة؛ وما لبثت أن تأثَّرت مجتمعات العرب المحليين التجارية، وتحت تأثير انتهاكاتهم وسيطرتهم، تركت المجتمعات العربية التجارية في الخليج والساحل، حيث تراجعوا مؤقتًا نحو المناطق الداخلية، كما تعرَّضت عدة مدن تجارية في عمان وسائر مدن الخليج العربي للانحدار[١٨].

أشار الرحَّالة البرتغالي "بيدرو تيكسيرا" إلى صناعة اللؤلؤ في جلفار حين كتب يقول: إنَّ أسطولًا مكوَّنًا من خمسين مركبًا كان يبحر من هناك في شهري يوليو وأغسطس من كل عام لصيد اللآلئ على شواطئ قطر والبحرين. وأضاف قائلًا: إنَّه قد نُسِب إلى جلفار نوع من اللآلئ كان يُعثَر عليه في المياه الإقليمية. لقد ورد في كتاب "دي باروس" بيانات تفصيلية عن العائدات والنفقات في هرمز تحت الاحتلال البرتغالي، كما أشار إلى أنَّ منطقة جلفار كان تدفع مبلغ ٧٥٠٠ "أشرفي" وهو أكبر مبلغ دفعته آنذاك. وهناك أيضًا مواصفات ورسومات قديمة لعدد من الحصون البرتغالية التي أُسِّسَت في دبا، والبدية، وخورفكان، وكلبا التي هي حاليًا أجزاء من دولة الإمارات العربية

المتحدة[١٩].

ويعد موقف مملكة هرمز من الغزو البرتغالي بمنطقة الخليج العربي في أن فاصل القوة قد تبدى عبر صدمة الحضور الذي جاء به الغازي البرتغالي إلى المنطقة، حيث الاستخدام المفرط للقوة، تلك التي لم يتورع استخدامها القائد البوكيرك، عند هجومه على هرمز عام ١٥٠٧م وعلى الرغم الفارق النوعي في التسليح، والمواجهة غير المتكافئة بين الأسلحة النارية التي جاء بها البرتغاليون، والسلاح التقليدي الذي يملكه الهرامزة، إلا أن موقف الملك سيف الدين كان قد تمثل في الرفض للوجود الأجنبي، وأختيار قرار المقاومة، تلك التي أبرزت عن ردة فعل لا قوام فيها سوى التدمير الشامل للبنى الأساسية للمملكة، ليضاف إليها إرغام الملك على توقيع معاهدة تضمنت شروطًا متعسفة قامت على إعلان الاستسلام غير المشروط، وتقديم غرامة حربية، ودفع ضريبة سنوية، وإخضاع مجمل نشاط هرمز التجاري لإرادة الغازي البرتغالي[٢٠]، لا سيما على صعيد حركة السفن، التي اشترط عليها أن تحصل على الإذن من القوات العسكرية للتحرك في مياه الخليج العربي ولم يتوقف الأمر عند حدود التدمير والسيطرة والتحكم بمصائر النشاط التجاري، بل تخطاه نحو التغلغل في مفاصل النشاط الاقتصادي لمملكة هرمز، حيث راح البرتغاليون يعمدون إلى السيطرة على البضائع الموجودة في المنطقة، من خلال التوجه نحو تثمين البضائع بأسعار لا تتوافق والقيمة الحقيقية لها، بل إن الضباط البرتغاليين توجهوا للعمل في مجال التجارة على حساب التجار المحليين، من خلال اعتماد أسلوب الابتزاز والمصادرة والترهيب، ومن هذا لم يتردد بلجريف من اقتباس الوصف الذي وضعه السير توماس هيربرت لهرمز عام ١٦٢٧م، الذي يقول فيه: "إن هذه المدينة البائسة أضحت مجردة من كل علامات البطولة والشجاعة بعد أن كانت في يوم ما، المدينة الأكثر ازدهارا في الشرق بأس٤ره"[٢١].

لم يتردد القائد ألبو كيرك من استثمار الفوز الذي تحقق في مدخل الخليج العربي، ومن هذا كانت خطواته اللاحقة قد تمثلت في التوجه للسيطرة على مسقط، انطلاقا من أهميتها التجارية باعتبار علاقتها بهرمز، أو على

صعيد الأهمية العسكرية، حيث الموقع الذي يجعل منها تتحكم في مدخل الخليج، وهكذا توجه الأسطول لشن الحرب من خلال الاستخدام للقوة النارية، والعمل على فرض غرامة حربية بحق المدينة، وكانت الشروط التي تم وضعها تقوم على الابتزاز والمبالغة في تقدير الغرامة[٢٢]، إلى الحد الذي أعلنت المدينة عجزها عن توفير مبلغ الغرامة، مما جعل البوكيرك يعمد إلى مباغتة المدينة بالقصف المدفعي والعمل على استباحتها[٢٣]، ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل إن الزحف البرتغالي راح يطال مدن الجوار مثل صحار وخورفكان اللتين تعرضتا لذات المصير، ومن هذا الواقع القائم على بسط القوة والهيمنة راح الاتجاه يتركز صوب فرض السياسة الضرائبية القائمة على النهب والإفقار، بل إن الملفت في الأمر راح يتطلع نحو محاصرة الأنشطة التجارية المحلية، وعبر جملة من الممارسات التي استندت إلى إيقاف السفن المحلية وتفتيشها ووضع العراقيل في سبيلها، وفرض الشروط على العمل في النشاط التجاري، تحت ذريعة أهمية حصول التجار على تصريح خاص من قبل القوات البرتغالية. والواقع أن ممارسة القمع بحق الأنشطة المحلية كان له وقعه المؤثر في تراجع الحياة الاقتصادية في المنطقة، حتى راحت المعطيات تشير إلى تحول منطقة مدخل الخليج العربي، إلى مجرد حامية برتغالية، يسيطر عليها العسكر الطامحون للسيطرة على المقومات الاقتصادية للمنطقة[٢٤].

قامت السياسة البرتغالية في منطقة الخليج العربي على عدة أسس منها (فرض السيطرة على المنافذ البحرية، من خلال إقامة الحاميات العسكرية والدوريات البحرية، المراقبة الدقيقة والصارمة على أنواع البضائع، والتدخل المباشر في توجيهها وإيقافها واعتماد أسلوب المصادرة للسفن، من خلال تقديم الحجج الواهية واقتراح الأسباب الواهية، وتحول أغلب الضباط البرتغاليين للعمل في ميدان التجارة، والدخول في منافسة التجار المحليين، والسعي نحو تحويل النشاط التجاري من الطرق التقليدية، إلى طريق رأس الرجاء الصالح، وفرض السيطرة الجمركية على المراكز التجارية، في هرمز ومسقط والبحرين والقطيف)[٢٥].

موقف المقاومة العربية في إمارات الخليج العربي من الغزو البرتغالي

بدأت المقاومة العربية حين بدأ البرتغاليون عملياتهم العسكرية في إمارات الخليج العربي في العام ١٥٠٦م، بهدف السيطرة عليه لأهميته الجغرافية والاستراتيجية بالتحكم بطرق التجارة، واستطاعوا السيطرة على إمارات الخليج العربي تدريجيًّا، بإسقاط مدنه، مدينة تلو مدينة بالقوة العسكرية المفرطة، فارضين سيطرتهم بصورة تعسفية، ومحتكرين التجارة والطرق التجارية لمدة قرن من الزمن بسبب السياسة التعسفية والتسلط العسكري البرتغالي، لم ترضخ المقاومة العربية لذلك، وبدأوا عمليات مقاومة للبرتغاليين ، ولعبت حركات المقاومة العربية في إمارات الخليج العربي دورًا كبيرًا في إضعاف وإسقاط الوجود البرتغالي في الخليج والتخلص من هيمنتهم وعُدّت من العوامل المهمة التي أدت إلى إضعاف وسقوط النفوذ البرتغالي في الخليج العربي[٢٦].

إن لمقاومة أبناء إمارات الخليج العربي للنفوذ البرتغالي حيث كانت أول مقاومة عنيفة للغزاة البرتغال هي التي قام بها أهالي إمارات الخليج العربي سنة ١٥١٢م بعد سبع سنين من احتلال هرمز مفتاح إمارات الخليج العربي فقد انتفضت إمارات الخليج العربي انتفاضة عامة اجتاحت مراكز التجارة في إمارات الخليج العربي من قلهات وحتى البحرين، وكانت هذه الحركة بزعامة شيخ هرمز شاه بندر الذي كان يخضع في ذاك الوقت لسيطرة البرتغاليين، ورغم إرجاع بعض الباحثين سبب هذه الانتفاضة إلى السيطرة البرتغالية على الموارد التجارية وتعسفهم في جمع الأموال، إلا أن تتبع سيرة البرتغاليين في الشرق عامة وفي الخليج خاصة تبين لنا أن هناك أسبابًا عديدة لمحاولة أهالي إمارات الخليج العربي خلع نسير البرتغاليين، وأهم هذه الأسباب روح القسوة والظلم التي ينشرها البرتغاليون في إمارات الخليج العربي وعدم احترامهم لحرية وعقيدة أهالي الخليج الإسلامية وتحطيمهم لتجارة إمارات الخليج العربي وحالة الفوضى التي عمت الخليج وبعد ممارستهم لعمليات القرصنة وعدم استماعهم إلى شكاوى الأهالي والحكام، وكل ذلك كان سببًا للسخط الدائم ضد البرتغاليين[٢٧].

وقد بدأت المقاومة ضد البرتغاليين بعد أن أرسلت المعلومات من

هرمز إلى جميع المراكز الأخرى على الساحل الغربي وحددت يوم ٣٠ نوفمبر سنة ١٥٢١م، وفي الموعد المحدد قام شيخ هرمز شاه بندر بالخطوة الأولى فأمر بحرق المراكب البرتغالية في الميناء وتم قتل الحامية البرتغالية القائمة في الجزيرة ليلًا وقامت المراكز التجارية العربية في الخليج بتنفيذ المهمة المتفق عليها فهاجموا البرتغاليين وأسروا كثيرين منهم ما عدا حاكم مسقط الشيخ راشد الذي كان على خلاف مع شيخ هرمز، فأعلن خضوعه للبرتغاليين ولم ينفذ المهمة وأعطى هذا الفرصة للبرتغاليين لطلب النجدة من الهند والمقاومة لعدة شهور حتى تصل إليهم المساعدة[٢٨].

ووصلت النجدة الأولى بقيادة دوم جونزالو الذي عزز علاقات البرتغاليين مع حاكم مسقط وحاول استعادة الأسرى من بعض موانىء إمارات الخليج العربي، وفي عام ١٥٢٢م وصلت النجدة الثانية للبرتغاليين بقيادة دوم لويزدي منزيس والذي توقف عند طيوي وهاجمها وأوقع بحاكمها الهزيمة ثم سار إلى مسقط وهاجمها بعد أن هرب الشيخ راشد وتركها للحاكم الفارسي دلامير شاه وبعد أن أخضع القائد البرتغالي مسقط بمعاونة الشيخ راشد توجه إلى صحار ودمرها ثم اتجه إلى هرمز وقضى على مسببي الانتفاضة وأعاد حكم البرتغاليين إلى الجزيرة، فوضعها تحت إشرافهم وحكمهم المباشر سنة ١٥٢٣م[٢٩].

وفي سنة ١٥٢٦ م قامت انتفاضة جديدة من جانب شيخ هرمز وأهالي عمان في مسقط وقيهات ووصلت أنباؤها إلى الهند فأبحر لوبافز مع خمس سفن سنة ١٥٢٧ م ، لقمع هذه الانتفاضة فرسا أول الأمر في قلهات حيث عقد صلحًا مع أهالي المدينة ووعدهم بإزالة المظالم عنهم وواصل سيره بعد ذلك إلى مسقط حيث اتبع نفس السياسة ثم اتجه إلى هرمز فخضعت له من جديد[٣٠].

ورغم حركات القمع الشديدة التي مارسها البرتغاليون ضد أبناء الخليج إلا أنهم لم ييأسوا ولم يركنوا إلى الاستسلام والضعف، ففي سنة ١٥٢٩م قام أهالي البحرين بانتفاضة ضد السيطرة االبرتغالية، وكان في هرمز آنذاك دوم نونودي كونها الذي عين نائبًا للملك في الهند، جاء إليها وهو في طريقه إلى

الهند سنة ١٥٢٨ م، وأثناء وجوده في هرمز اندلع القتال في البحرين ضد البرتغاليين وحاول دي كونها قمع هذه الحركة ولكنه فشل فشلًا ذريعًا وقتل في المعركة أخوه سمون دي كونها فعاد أدراجه إلى هرمز ومنها إلى الهند[٣١].

وبذلك لم يكتفِ أهل إمارات الخليج العربي بهذه الحركات الجهادية ضد البرتغاليين، بل عملوا على قطع الإمدادات عن هرمز أكبر معاقلهم في إمارات الخليج العربي، ففي سنة ١٥٨٥ حاول البرتغاليون شن حملة بحرية على نخيلوه التي تقع على ساحل إمارات الخليج العربي بعد أن عانوا من المتاعب الكبيرة بسبب منع سكان نخيلوه وصول المؤن إلى هرمز وكانت الحركة البرتغالية بقيادة بيتر بيريرا الذي رافقه كثير من النبلاء وحوالي ستمائة رجل، ولكنهم قبل أن يصلوا إلى الساحل ظهر أهالي نخيلوه على حين غرة وأوقعوا بالبرتغاليين الهزيمة وقتلوا منهم أكثر من مائتين وخمسين رجلًا عدا من غرق منهم[٣٢].

وهكذا فشلت الحملة البرتغالية وانتصر أهالي نخيلوه وتطلع أهالي الخليج إلى قوة إسلامية كبرى تقف إلى جانبهم ضد البرتغاليين ألا وهي الدولة العثمانية التي انتصرت على الصفويين وقتذاك ودخلت إلى العراق ووصلت إلى الخليج عبر البصرة، ونظر سكان إمارات الخليج العربي إلى الدولة العثمانية على أنها حامية الحرمين الشرفين وهي الملجأ وقتذاك للعالم الإسلامي، وتعد الدولة العثمانية في القرن السادس عشر الميلادي هي دولة عظمى ودولة بحرية أيضًا لها أساطيل في البحر المتوسط وتستطيع إنزال أسطول بحري في إمارات الخليج العربي عن طريق السويس يواجه الأسطول البرتغالي، وهذا بالإضافة إلى تفوق العثمانيين على الصفويين من ناحية التسليح الحربي ووافق العثمانيون على التدخل لإعانة إخوانهم في الإسلام؛ ولأن مصالحهم في الخليج واضحة ومشتركة خاصة مواجهة عدوين لهم هما البرتغاليون والصفويون[٣٣].

وجد العثمانيون تجاوبًا كبيرًا من عرب الخليج للاحتماء بزعامتهم الإسلامية، حتى إن سكان القطيف والإحساء بادروا بإعلان أنفسهم رعايا عثمانيين وأكدوا رفض خضوعهم لمملكة هرمز التي كانت تعاني في ذلك

الوقت من وطأة الاحتلال البرتغالي، وكان قد سبق لسكان البحرين أن أعلنوا خضوعهم للعثمانيين على إثر فتحهم للعراق في عام ١٥٣٤م. وقد اعتبر العثمانيون المناطق التي أعلنت ولاءها لهم إيالة عثمانية أطلقوا عليها اسم إيالة الإحساء، وعينوا عليها بيلربي أو أميرا أول، وكان البيلربي يتشكل طبقًا للتقسيمات الإدارية العثمانية من عدة سناجق حيث اعتبرت القطيف ضمن مجموعة سناجق إيالة الإحساء التي امتدت حدودها حتى وصلت جنوبًا إلى شبه جزيرة قطر[٣٤].

في سنة ٩٣٣هـ/ ١٥٢٦م اندلعت انتفاضة جديدة من جانب سلطان هرمز وبتحريض من وزيره شرف الدين ومدن ساحل عمان مسقط وقلهات، بسبب الظلم والتسلط في تحصيل الضرائب وابتزاز الأموال التي كان يقوم بها قائد الحامية البرتغالية في هرمز «دي ميلو». ووصلت أصداء تلك الثورة إلى الهند البرتغالية فقام حاكمها لوبو فاز دي سامبايو بقيادة حملة إلى الخليج في مايو ١٥٢٧ لإقرار النظام ولكن الحملة عند وصولها لم تلجأ إلى العنف، بل استمعت إلى الشكاوى المرفوعة ضد رؤساء الحاميات البرتغالية في المدن الثائرة والتحقيق فيها وإقالة بعضهم.

وفي سنة ٩٣٤هـ/ ١٥٢٨م عاد شيخ المنتفق مغامس بن مانع ليستولي على البصرة مرة أخرى من الوالي الصفوي، ويصبح حاكمًا عليها. عندئذ كتب حاكم هرمز البرتغالي إلى ملك البرتغال، ذكر فيها أن مغامس أنشأ أسطولًا خاصًّا لإمارته، ونبه إلى خطورة عمله على النفوذ البرتغالي في المنطقة، وطالب بخضوع البصرة لحكم هرمز.٣٥ ورغم ذلك فإن الشيخ مغامس طلب من البرتغاليين في السنة التالية ١٥٢٩م/ ٩٣٥هـ مساعدته ضد خصومه (آل عليان، وهي إمارة عربية قامت في منطقة الجزائر شمالي البصرة، وتنحدر من قبيلة شمر، وكان مقرها المُدَينة) وذلك مقابل منحه إياهم بعض التسهيلات الملاحية والإغراءات الاقتصادية وفعلًا قام ملشبور تافرز دي سوزا بحملة لمساعدته، ولكنه لم يف بوعوده معهم، فانتقم دي سوزا بأن قصف منطقتين في البصرة قبل عودته، وذكر ويلسون أن وعوده كانت تسليم سبع سفن تركية إليهم،

وأيضا منع الأتراك من ممارسة التجارة في البصرة.

أدى اعتقال الوزير شرف الدين ونفيه سنة ١٥٢٩م إلى غضب شقيقه بدر الدين الذي يحكم البحرين باسم هرمز، فقام بحركة تمرد والثورة. وهناك عامل آخر ساعد باندلاع الثورة في جزر البحرين، وهو أن البرتغاليين رفعوا في سنة ١٥٢٩ الضريبة السنوية التي تدفعها هرمز إليهم إلى ١٠٠ ألف أشرفي، وبالتالي زادت الضريبة على البحرين إلى الضعف تقريبًا، مما أدى إلى رفض بدر الدين دفع ضرائب البحرين وعصيان الأوامر البرتغالية، فقرر داكونها إرسال أخيه «سيماو داكونها» على رأس حملة تأديبية مؤلفة من ٥ سفن وبدعم من ٦ سفن أخرى مزودة بالمدافع بقيادة ديسوزا وكان هدف الحملة هو إخماد الثورة وإعادة احتلال قلعة البحرين وأسر حاكمها بدر الدين الذي جمع حوله ٨٠٠ مقاتل وتحصن بالقلعة ورفض تسليمها للبرتغاليين، وعند وصولهم البحرين أرسل إليهم خطابًا يخبرهم بأنه تحت حماية سلطان هرمز، وأنه لا يرغب بالحرب، وتقدم بعرض صلح مشروط، لكن البرتغاليين لم يستجيبوا له، فلما نزل سيماو البر لاحظ أن الحصن منيع جدًّا، على عكس ماقيل له بأنه ركام.

ومع ذلك فقد نصب المدفعية وشرع في إطلاق النار على مدى ٣ أيام متواصلة إلى أن نفدت الذخيرة من البارود، ولم يتمكن من اقتحام القلعة رغم تصدع بعض جدرانها. فأرسل سفينة إلى هرمز لجلب المزيد من الذخيرة، فعادت بعد ١٤ يومًا، وخلال تلك الفترة سرت الحمى بين الجنود البرتغاليين والهرامزة، واستشرى المرض لدرجة أنه انعدم من يقوى منهم على سحب المدفعية إلى المراكب. ومن مجموع ٤٥٠ أو ٥٠٠ محارب ذهبوا إلى المعركة، لم يبق على قيد الحياة من الجنود القادرين على القتال سوى ٣٥ جنديًّا برتغاليًّا، عندئذ قرر الغزاة الانسحاب والتراجع إلى هرمز، وفي طريق العودة ازدادت حالتهم سوءا، فمات أكثرهم بمن فيهم «سيماو داكونها» قائد الحملة، وهكذا انتهت حملة البرتغاليين ضد ثورة البحرين إلى كارثة، إلا أن البرتغاليين عادوا من جديد لفرض سيطرتهم على البحرين بفضل الإمدادات التي وصلتهم من الهند.

الغزو البرتغالي لمملكة هرمز :

تاريخ مملكة هرمز:

مملكة هرمز مملكة قامت في القرن العاشر ميلادي على السواحل الشرقية للخليج العربي اشتهرت بالتجارة وبالثراء، وهي الميناء البحري لتجارة منطقة كرمان وسيستان، كانت خيولها تصدر إلى الهند[٣٥]، وظلت على هذا الحال حتى القرن الخامس العشر، وتقع المدينة على البر قريبًا من مصب نهر ميناب على الساحل الشرقي للخليج وقد قامت على أنقاضها مدينة بندر عباس الحالية، وحسب التقسيمات الإدارية والجغرافية الإسلامية القديمة كانت هرمز من مدن إقليم كرمان ما بين إقليم فارس والمفازة الكبرى وهي قديمة جدًّا[٣٦]، وقد ذكر أن الإسكندر المقدوني في حملته المشرقية المشهورة مر بها وقد وفر لها موقعها المهم على المضيق الموصل ما بين الخليجين العربي والعماني مكانة ملحوظة في حركة التجارة البحرية خاصة العصور الإسلامية تمامًا كما كانت الحال قبلها لميناء سيراف على الساحل الشرقي للخليج العربي أيضًا وجزيرة قيس القريبة من المضيق[٣٧].

وقد تطورت هذه المدينة ونمت لتصبح أحد أبرز الموانئ التجارية على هذا الساحل وإحدى أبرز المحطات المهمة على خطوط التجارة البحرية ما بين البصرة من جهة والسواحل الهندية وسواحل شبه جزيرة العرب الجنوبية وصولًا إلى عدن من جهة ثانية[٣٨].

وقد تأكدت هذه المكانة التجارية في القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) فيصفها الإصطخري "توفى بعد ٣٤٠هـ/ ٩٥١م) بأن بها مسجدًا جامعًا ومساكن التجارة في رستاقها متفرقين في القرى نحو فرسخين"[٣٩]، ويبدو أن شهرة المدينة آنذاك طغت على اسم الإقليم الذي تنتمي إليه، فعندما يتحدث المسعودي "المتوفى ٣٤٦هـ / ٩٥٧م، عن إقليم كرمان يقول ساحل كرمان وهي بلاد هرموز[٤٠]".

وقد أبرز ابن حوقل "توفي بغد ٣٦٧هـ/٩٧٧م) الأهمية التجارية التي كانت تتمتع بها هرمز أو هرموز كما سماها هو والمسعودي فيقول عنها: إنها مجمع تجارة كرمان وهي فرضة البحر وموضع السوق بها مسجد جامع ورباط

وليس بها كثير مساكن، وإنما مساكن التجار في رساتيقها متفرقين في القرى[٤١].

إن بداية العصر الذهبي لمملكة هرمز في سنة ١٣٣٠م بعد أن استفردت بمياه الخليج العربي وأصبحت لها السيادة المطلقة على تجارته وخطوط الملاحة فيه، ومن هنا بدأت تمد نفوذها إلى خارج الخليج عبر المضيق الذي سمي باسمها باتجاه السواحل العمانية، وقد توفرت لمملكة هرمز عناصر قوة إضافية بعد ذلك مكنتها من أن تمضي قدمًا في مشروعها التوسعي على سواحل الخليج نفسه وخارجة أيضًا، ففي العام ١٣٧٩ جرد تيمورلنك في الغزوة المغولية الثانية حملة على المدن الساحلية القريبة من هرمز القديمة واستولى على عدد من القلاع هناك وأحرقها ما جعل مقاتلتها يفرون إلى جزيرة جرون[٤٢]، وهو ما وفر لمملكة هرمز مزيدًا من القوة البشرية والعسكرية مكنتها بالتأكيد من مد نفوذها إلى المناطق المجاورة وبسط سيطرتها عليها.

غير أن المملكة واجهت في أوساط القرن الخامس عشر الميلادي تحديًا لنفوذها في الخليج العربي من جانب قوة محلية أخرى نهضت تنافسها في السيطرة على خطوط الملاحة والتجارة البحرية في الخليج وهذه القوة هي إمارة بني جبر (أو الجبرين أو الجبور) وهم بطن من بطون قبيلة بن عامر ينسبون إلى جبر بن حسين بن ناصر بن عقيل[٤٣]، وقد سطع نجمهم أول مرة عندما قام زعيمهم الشيخ زامل بن جبر بالاستيلاء على الإحساء وتمكن فيما بين العامين ١٤٣٩ و١٤٦١م، من توحيد القبائل العربية المتناثرة في بلاد نجد والإحساء وتسخيرها لبناء دولة الجبور الناشئة[٤٤]، وقد ترسخت أركان هذه الدولة في عهد خليفته سيف بن زامل، إذ شهدت البلاد في عهده فترة من الرخاء والازدهار كما أخذت الدولة تقوم بدور ملحوظ في محيطها وتمد نفوذها إلى المناطق المجاورة خاصة عمان، إذ نفهم من الملاح العربي ابن ماجد المعاصر للأحداث أن سيفا هذا تدخل في الصراعات الدائرة بين إباضية عمان وملوكها من النباهنة وأنه تغلب بالسيف على الملك النبهاني سليمان بن سليمان وولي على عمان إمام الإباضية هو عمر بن الخطاب الخروصي الذي يقول عنه ابن ماجد: إنه كان يدفع لسيف من محاصيل عمان[٤٥].

وقد أقامت هرمز إمبراطورية تجارية من جزيرة جرون وصلت إلى أبعد ما يمكن أن تصله إمبراطورية تجارية في ظروف ذلك العصر وجزيرة جرون تقوم عليها مدينة هرمز التي لا تبدو كبيرة بقدر ما هي جميلة[٤٦]، بمنازلها الشامخة المبنيَّة بالحجر والملاط، المسطَّحة السقوف، والكثيرة النوافذ. ولتحاشي حرِّ هذه الجزيرة الشديد، شيِّدت جميع بيوتها بطريقة تجعل الهواء يندفع عند اللزوم من طوابقها العليا إلى السفلى[٤٧]، وموقع هذه المدينة جيد جدًّا وفيها شوارع وكثير من الساحات العامَّة. وينتصب بجوارها تلٌّ فيه ملح وبعض الكبريت ويشكِّل الملح كتلًا تضاهي الصخور الكبيرة في تلال جَلْمَدَة ويسمَّى هذا الملح الملح الهنديّ، يؤخذ مباشرة عن وجه الأرض، عندما يكون ناصع البياض وناعمًا.[٤٨]

وتشتري جميع السفن القادمة إلى هرمز هذا الملح لحفظ توازنها، لأنَّه سلعة ثمينة مطلوبة في أماكن عديدة[٤٩] وتجَّار هذه المدينة عرب وفرس ويتكلَّم الفرس اللغة العربيَّة ولغة أخرى تسمَّى الفارسيَّة وهم طوال القامة بحسن وبهاء، وصحَّة وأناقة، رجالاً ونساءً وهم شجعان ويعيشون في رخاء، ومسلمون يرفعون عاليًا شأن الإسلام لكنَّهم يتساهلون في عدَّة أمور، حتَّى إنَّهم يقتنون غلمانًا لأغراض بغيضة ويجيدون الموسيقى، ولديهم آلات عزف متنوِّعة. أمَّا العرب، فبشرتهم داكنة وهم أقرب إلى السمرة[٥٠].

ويقطن تجَّار أثرياء في مدينة هرمز وفيها كثير من المراكب الكبيرة جدًّا ولها ميناء جيد جدًّا، يتاجر بشتَّى أنواع البضائع المحمولة إليه من جهات عديدة ويقايضها بسلع كثيرة جدًّا من أرجاء الهند ويَستورد تجّارُها التوابل بأنواعها، وأصنافًا أخرى أي الفلفل، وكبش القرنفل، والزنجبيل، وحبّ الهيل، والألوة، والصندل، وخشب البرازيل، والأهليلج، والتمر الهنديّ، والزعفران، والنيلة، والشمع والحديد والسكّر والأرزّ (بمقادير هائلة) وجوز الهند[٥١]، وكمّيّات وافرة من الحجارة الكريمة، والخزف، واللبان ويجنون أرباحًا طائلة من بيع جميع هذه السلع. وعندهم أيضًا كثير من أكسِية كمباية وشول ودابول ويجلبون من البنغال موسلين سنباقوس رفيعًا، وهو قطنيّ رقيق جدًّا ومرغوب جدًّا عندهم

لصنع العمائم والقمصان ويحمل إليهم من عدن النحاس والزئبق والزنجفر وماء الورد والثياب المطرَّزة والتفتة وقماش الوبر ويأتيهم من ممتلكات إسماعيل شاه مقادير كثيرة من الحرير والمسك الجيّد جدًّا وراوند بابل وتزوِّدهم البحرين وجلفار باللآلئ الصغيرة والكبيرة[٥٢]، ومدن جزيرة العرب بكثير من الخيول التي ينقلونها إلى الهند بأعداد كبيرة، تبلغ ألف حصان وألفين في بعض السنين، يباع الواحد بحوالي ثلاثة أو أربعة آلاف كروزيروس، حسب الطلب عليها. وتوسق السفن، الناقلة الخيول، بكمّيّات وافرة من التمور والزبيب والملح والكبريت، واللآلئ الصغيرة الخام المرغوبة عند مسلمي نارسنغا[٥٣].

وفي مدينة هرمز يقيم سلطانها على الدوام وفي أحد القصور الكبيرة التي يمتلكها قرب البحر، والمقامة على أحد الرؤوس الطبيعيّة ويحتفظ بكنوزه فيه ويعيّن ولاته وجباة ضرائبه في مدن ساحل فارس ومدن ساحل جزيرة العرب وفي جزر الخليج العائدة لسلطنته، مثلما أشرت من قبل. وللسلطان في مدينة هرمز والٍ عام يحكمها ويحافظ على تطبيق القانون فيها. وهو أعلى من جميع ولاة السلطنة الآخرين، ويأمرهم[٥٤].

ويحتفظ هذا الوالي العامّ بالسلطان على مقربة منه في القصر المذكور[٥٥]، ضمن حصن مخصّص لهما. ولا يحكم السلطان من هذا الحصن، ولا يعرف شيئًا عن السلطنة، لكنّه يُخدَم جيّدًا ويُحرس جيّدًا. أمّا إذا أراد السلطان أن يتدخّل في شؤون الحكم والخزينة، أو رغب في الحصول على حرّيّته، فإنّه يُنقل من الحصن[٥٦]، ويُقضى على بصره، ويوضع في منزل خاصّ هو وزوجته وأنجاله إن كان له أولاد، ويُبتلى ببليّة عظيمة، ولا يقدَّم له سوى الطعام[٥٧]، ثمَّ يؤخذ شابٌّ من الأسرة المالكة، مثل نجله أو شقيقه أو ابن أخيه أو أحقّ أنسبائه بالملك، ويوضع في الحصن والقصور المشار إليها سابقًا، ويصبح سلطان هرمز الجديد، لكي يتسنّى للولاة أن ينظّموا السلطنة ويحكموها باسمه بلا نزاع وبسلام تامّ. ومتى كبر باقي ورثة السلطان[٥٨]، وبلغوا سنًّا تخوّلهم تسلُّم زمام الأمور، يأخذ الوالي العامّ كلّ مَن تراوده نفسه منهم بالتدخّل في شؤون السلطنة، ويقضي على بصره، ويضعه في منزل فاقدي الرؤية، الذي

يحوي باستمرار ما يتراوح بين عشرة واثني عشر من السلاطين العميان. ويخشى كلّ سلطان وهو في السلطنة أن يلقى المصير ذاته ويظلّ رجال مسلّحون[٥٩]، مشاة وخيّالة، يراقبون السلطان ويحرسونه، ويُدفع لهم مرتّبات ضخمة. ويذهبون إلى البلاط مدجّجين بالسلاح على الدوام. ويُرسَل بعضهم قيّمين على مناطق السلطنة على البرّ الرئيس متى اقتضت الحاجة[٦٠].

وفي القرن الثاني عشر الميلاديّ السادس الهجريّ، برزت أهمّيّة الخليج العربيّ في إيصال التوابل وغيرها من السلع إلى البصرة، فحلب، فمدينة طرابلس الشام. وقد ذكر أحمد بن ماجد في كتاب الفوائد أنّه ولج في ثلاثة مراكب من هرمز إلى جدّة وكانت حمولة الواحد منها تزيد على ألف بهار وهذا يعني أنّ مملكة هرمز كانت تنشّط طريق الخليج بصورة أساسيّة، وطريق البحر الأحمر أحيانًا[٦١].

وهكذا أصبح البحر الأحمر والخليج العربيّ على مرّ الأيّام طريقي ما اصطلح على تسميته «التوابل المتوسّطيّة» التي تقابلها «توابل الطريق الغربيّة عبر المحيط الأطلسيّ» بعد دوران فاسكو دا غاما حول رأس الرجاء الصالح ووصوله إلى الهند سنة ١٤٩٨م/٩٠٤هـ. وكانت مدينة لشبونة في البرتغال سوق التوابل الأطلسيّة، وجمهوريّة البندقيّة سوق التوابل المتوسّطيّة[٦٢].

ونشب صراع تجاريّ مرير، أثار أزمات اقتصاديّة في العديد من الدول الأوربيّة، وأدّى إلى حصول حروب لتثبيت تفوّق إحدى الطريقين، القديمة أو الجديدة، على الأخرى[٦٣] ودام هذا النزاع حتّى مطلع القرن التاسع عشر الميلاديّ/ الثالث عشر الهجريّ. لكن كانت حدّته قد خفّت، وأهمّيّة التوابل قد تدنّت قبل هذا التاريخ، لانتشار زراعتها في أماكن أخرى من أفريقية وأمريكة الجنوبيّة، ولاكتشاف وسائل جديدة للتتبيل وحفظ المآكل أو الحصول عليها طازجة[٦٤].

يتّضح من هذا العرض السريع أنّ الخليج العربيّ قام بدور أساسيّ في التجارة العالميّة. بالتالي، تمتّعت مملكة هرمز، منذ قيامها[٦٥]، بمكانة مرموقة في تبادل سلع الشرق، ونقلها بسفنها أو السماح بنقلها، لقاء تقاضيها رسومًا، بسفن

الغير، عبر مياهها الإقليميّة، حتّى العراق. ومن العراق، تُنْقَل، بقوافلِ إبل إلى حلب، فطرابلس الشام، وأحيانًا إلى إسكندرونة أو إلى بيروت[٦٦].

الغزو البرتغالي للمملكة هرمز

استطاعت جزيرة هرمز أن تتبوأ مكان الصدارة، فتاريخيًّا عبر حضارات قبل الميلاد، لعب مضيق هرمز دورًا في إحياء الحضارات القديمة التي أقيمت عليه، كما استفادت الحضارات الأخرى المجاورة للمضيق والتي اتخذت منه معبرًا لسفنها التجارية والحربية، فكانت أبرز الحضارات المحيطة بالمضيق الذي أدى إلى ازدهار وثراء تجارتها هي حضارة دلمون وتاليوس في مملكة البحرين القديمة، وحضارة بلاد الرافدين والحضارات التي تعاقبت عليها كالبابليين والكلدانيين والآشوريين والسومريين، وكذا حضارتي بلاد فارس والهند، وأضحى مضيق هرمز من أهم أدوات التبادل التجاري بين الحضارات القديمة؛ فعلى سبيل المثال، اتخذت حضارة مملكة البحرين، بحكم موقعها الجغرافي، من مضيق هرمز ميناء لرسو سفنها التجارية ونقل بضائعها الحيوية كالنحاس والأخشاب المتينة وكذلك البضائع المترفة مثل العاج، والأحجار شبه الكريمة، والطيور الغريبة، من وادي السند وعُمان إلى وادي الرافدين[٦٧].

كانت هرمز قد بسطت سيطرتها وسلطانها السياسي على أجزاء كبيرة من الخليج، وكانت ذات مركز تجاري هام؛ لذا قام البرتغاليون بغزوها، وكان ملك هرمز يومها صبيًّا صغيرًا هو سيف الدين ووصيه الشيخ عطار، فوصل البرتغاليون إلى الساحل هذا العام، وبدأوا بالهجوم المدفعي، فطلب الملك المفاوضات التي كانت رهيبة إلى درجة أن البوكيرك قائد البرتغاليين طعن الشيخ عطار وقتله أثناء تلك المفاوضات[٦٨]، فأسفرت المفاوضات عن صلح بشروط قاسية تُصبِح فيها هرمز تحت السيادة البرتغالية وتدفع أيضًا جزية سنوية ويسمح للبرتغاليين بإقامة منشآت عسكرية ولا يحق للأهالي ممارسة أي نشاط بحري إلا بتصريح من البرتغاليين، وبذلك فرض البرتغاليون سيطرتهم على الخليج العربي وظلت هرمز حتى بدايات القرن السادس عشر مملكة متماسكة، تتمتع بحضور اقتصادي وعسكري كبير، تواصل فتوحاتها شرقًا

وغربًا، إلا أن ضعف حكامها في الأعوام الأولى من هذا القرن كان بداية النهاية بالنسبة لها، حيث تولى زمام أمورها صغار السن، ضعاف الشخصية وهو ما أسرع بالإجهاز عليها فيما بعد[٦٩].

حين قدم البرتغاليون إلى سواحل الخليج في العام ١٥٠٧م، كانت هناك دولة تجارية عظيمة الثراء، وإن كانت تفتقر إلى القوّة العسكرية والخبرة القتالية، وهي مملكة هرمز التي تبعد نحو ١٢ ميلًا عن الساحل الفارسي في مدخل الخليج، بسطت نفوذها على الساحل العربي من القطيف شمالًا حتى رأس الحد جنوبًا ودخلت في حزتها البحرين وقشم ويوجد أيضًا قلهات وقريات وصحار وخورفكان ومسقط ورأس الخليج والإحساء والقطيف تابعين لهرمز[٧٠].

بدأ البرتغاليون بقيادة البوكيرك باحتلال جزيرة هرمز سنة ١٥٠٧م، فاستعدت مملكة هرمز لصد الغزو البرتغالي وقد تجمعت قوات من الفرسان على الساحل من الفرس والعرب حيث احتشد ما لا يقل عن ثلاثين ألفا من بينهم أربعة آلاف من الفرسان، كما كان في المرفأ أربعمائة سفينة ولم يكن البرتغاليون بقيادة قائدهم البوكيرك يملكون أكثر من سبع سفن حربية لم يتجاوز عدد بحارتها أكثر من أربعمائة وستين رجلًا وكان حاكم هرمز صبيًّا صغير السن يسمى (سيف الدين) ويحكم نيابة عنه مستشاره (الشيخ عطار)[٧١].

وعلى الرغم من كل هذا التباين فلم يتراجع البوكيرك عن تحقيق مآربه في الاستيلاء على الجزيرة، ولعل الروح الانتحارية التي كان يقاتل بها البوكيرك والسفن المتطورة التي كان يقلها والمدافع التي كان يستخدمها وحالة الفوضى التي كانت عليها قوات هرمز كانت في مقدمة العوامل التي عجلت بالسيطرة على الجزيرة، وكان هجوم القوات البرتغالية التي نفدت منها المواد الغذائية بمثابة هجوم الجياع على مستودعات التموين وكانت كلمات البوكيرك إلى جنوده وهو يحثهم على القتال "إما الأنتصار أو يقطع المسلمون رقابكم"[٧٢]، وإزاء استمرار القصف المدفعي البرتغالي لم يجد سيف الدين بدًّا من طلب المفاوضات. والتي جرت في جو إرهابي كانت نتيجتها أن قام البوكيرك أثناءها بطعن الشيخ عطار فجأة عندما كان يتحدث معه فقتله. وقد أسفرت

المفاوضات عن الصلح بشروط قاسية منها أن يظل سيف الدين في منصبه حاكمًا على هرمز تحت السيادة البرتغالية وأن يدفع لملك البرتغال مبلغ خمسة عشر ألف زرافين كجزية سنوية وأن يسمح للبرتغاليين بإقامة منشآت عسكرية في بلاده، كذلك نص على إعفاء التجارة البرتغالية من أية رسوم جمركية باحتلال هرمز فرض البرتغاليون سيطرتهم على المنطقة سيطرة تامة، وأصدر البوكيرك قرارًا يمنع أي سفينة من ممارسة الملاحة في الخليج قبل الحصول على تصريح من السلطات البرتغالية، وقد انصرفت الدولة الصفوية خلال هذه الفترة إلى فتوحات في الشمال وإلى حروب ضد العثمانيين، ولم تول أمور الخليج اهتمامًا كبيرًا، فكان إسماعيل شاه يترك غالبًا المناطق الساحلية الجنوبية لحكام شبه مستقلين[٧٣].

على الرغم من المكانة السياسية والاقتصادية التي وصلت إليها البرتغال خلال القرن السادس عشر بسبب إسهاماتها البارزة في مجال الكشوف الجغرافية، إلا ان عوامل الضعف مع بداية القرن السابع عشر قد بدأت تنال من تلك الامبراطورية المترامية، التي امتدت من البرتغال إلى الساحل الغربي للهند[٧٤].

وفي عام ١٥٠٩ م ، خلف البوكيرك دوم فرانسيسكو في منصب حاكم الهند البرتغالية وقبل أن يعود إلى هرمز كان مشغولا بغزو غوا في ١٥١٠م، وملقا سنة ١٥١١م، ثم قام بغزو البحر الأحمر في ١٥١٣م. لم يتوقف البوكيرك أبدًا عن جمع المعلومات عن هرمز ولا حتى تبادل السفراء أو الاتصال بوزرائها خلال هذا الوقت، ولكن في الواقع جرت تغييرات مهمة في هرمز بين ١٥٠٧ و١٥١٥م ، دفعت البوكيرك إلى اتخاذ خطوة في أقرب وقت ممكن: فقد قُتل خوجة عطار، والوزير الجديد ذراعه اليمنى رايس نور الدين والي قد قتل الملك سيف الدين بالسم، وأحل محله شقيقه توران شاه البالغ من العمر ثمانية عشر عامًا لكن رايس نور الدين بدوره طرد من السلطة من قبل ابن أخيه رايس أحمد من خلال انقلاب واستمر في السلطة من خلال العنف والقمع، بدعم من فصيل معارض في البلاط، مما أدى إلى إخافة الشاب توران

شاه بشبح الاغتيال أو سمل العين[٧٥].

لذا قرر البوكيرك أن يرسل حملة أخرى بقيادة ابن أخيه بيرو، فأقلع بأسطوله في ١٥١٣م، حيث استطاع أن يستولي على عدد من مراكب العرب كانت متجهة نحو البحر الأحمر[٧٦]، وأخيرًا وصل إلى هرمز سنة ١٥١٤م، غير أنه لم يحقق شيئا يذكر في مفاوضاته بشأن الحامية ودفع الجزية، وذلك لأن ملك هرمز قد اعترف فعليًّا بسيادة الشاه إسماعيل الصفوي، فعاد بيرو إلى غوا في سبتمبر ١٥١٤ م ، وقدم تقريره إلى عمه البوكيرك، وهكذا أبحر البوكيرك في فبراير ١٥١٥ م ، بأسطول من ٢٧ سفينة و١٥٠٠ برتغالي و٧٠٠ مالاباري في غوا، وفي مارس ١٥١٥ م رسا البرتغاليون مرة أخرى أمام هرمز، على صوت الأبواق وطلقات المدفعية القوية؛ "بدت السفن وكأنها تشتعل"، كما روى شاهد العيان غاسبار كوريا لاحقًا[٧٧].

وجد البرتغاليون هرمز محصنة ومجهزة لصراع طويل؛ ومع ذلك لم يعارض الملك توران شاه ورئيس نور الدين دخول البوكيرك، على أمل أنه قد يكون حليفًا ضد المغتصب رايس أحمد (الذي وصفه البرتغاليون بأنه طاغية)، حيث أثبت البرتغاليون بالفعل أنهم مهتمون بالتجارة والجزية فقط وليس بالسيطرة الفعلية على المملكة، وهكذا في ١ أبريل سمح الملك توران شاه للالبوكيرك بإنزال قواته واستعادة هرمز رسميًّا دون إراقة دماء، فرُفع علم البرتغال مرة أخرى فوق الجزيرة[٧٨].

وقد استغل البرتغاليون انشغال قوات الشاه إسماعيل في شمال فارس في الحرب ضد العثمانيين، فوطَّدوا نفوذهم في جزيرة هرمز والساحل العماني، واستولوا على القطيف والبحرين، ونكثوا بذلك عهدهم للشاه إسماعيل بمساعدته في بسط حكمه عليها، وقد زار البوكيرك البحرين عام ١٥١٥م، من أجل تعزيز العمل بمقتضى المعاهدات القائمة بين حاكمها المحلي وملك هرمز الخاضع من الآن للسيطرة البرتغالية. وكان الشاه إسماعيل قد حاول في بدايات التهديدات البرتغالية لمملكة هرمز أن يحث حكامها على الثورة ضد البرتغاليين واعدًا اياهم بالمساعدة، غير أن حاكم هرمز أظهر خطاب الشاه للبرتغاليين،

فانقلب الشاه إسماعيل على موقفه طالبًا التحالف مع البرتغاليين ضد العثمانيين، ووقع اتفاقية معهم جاء فيها[٧٩]:

- أن تساند البحرية البرتغالية القوات الإيرانية في الاستيلاء على البحرين والقطيف.
- يتعهد البرتغاليون بمساندة الشاه في القضاء على الحركات الانفصالية التي قامت في إقليم مكران.
- قيام حلف عسكري بين الطرفين ضد الدولة العثمانية.
- إعادة توران شاه إلى هرمز نائبًا عن الملك البرتغالي عمانوئيل، وهذا يعني اعتراف الشاه بتعبية هرمز للبرتغاليين.

وفي غضون ذلك، استولى حاكم الإحساء مقرن بن زامل على البحرين والقطيف، وطرد النفوذ البرتغالي والهرمزي منها، ولكن البرتغاليين عادوا فسيطروا على البحرين بعد القضاء على حركة مقرن بن زامل، واكتفى البرتغاليون بما حققوه من نصر في البحرين ولم يواصلوا تقدمهم ناحية القطيف بسبب عنف المقاومة العربية وخوفا من أن يستدرجهم عرب القطيف إلى داخل الجزيرة العربية[٨٠]. لقد حرص البرتغاليون على احتفاظ حكام هرمز بسلطتهم ولكنها كانت سلطة شكلية حيث أرغموا على الولاء لملك البرتغال، لدرجة أنه لم يكن يسمح لهم بمغادرة الجزيرة إلا بموافقة الحاكم البرتغالي.

الأوضاع السياسية والاقتصادية لمملكة هرمز عقب احتلالها من البرتغال.

الأوضاع السياسية:

كانت هرمز مملكة ثرية بسبب موقعها الاستراتيجي، الذي حولها إلى مركز مستودعات البضائع من ملقا وإندونيسيا وكاليكوت وملبيار وسواحل شرق أفريقيا إلى الغرب، إلا أنها تفتقر إلى القوة العسكرية، ولم تستطع الحفاظ على استقلالها في مواجهة القوى الكبرى في المنطقة – خصوصا في البر الفارسي مع الدولة الصفوية الناشئة– سوى دفع الإتاوات والضرائب التي عليها سنويًّا لتفادي العدوان، فكانت تدفع للصفويين مبلغ ٢٠٠٠ أشرفي سنويًّا بالإضافة إلى الهدايا العظيمة، كان يدفعها الوزير خواجة عطار باسم الملك سيف الدين أبا

النصر، وبذلك استطاع الاحتفاظ باستقلال المملكة لبعض الوقت. وكانت الصراعات الأسرية داخل البيت الهرمزي قد مكنت الجبور من انتزاع الإحساء والقطيف منهم. والحصول على جزر البحرين بموجب اتفاق سياسي مع ملك هرمز سنة ١٤٧٦م. وقد استمرت النزاعات الأسرية حتى قبيل وصول البرتغاليين سنة ١٥٠٧[٨١].

تجنَّبت هرمز، كشأنها دائمًا، الدخول في صراعات مع حكّام فارس، وساعدها على ذلك احتماؤها بماء البحر ودفع الخراج المالي السنوي لكل حاكم يسيطر على مقاليد الأمور في فارس، وهكذا نراها في فترة وصول البرتغاليين تعترف بتبعيتها للدولة الصفوية التي احتلت فارس الغربية وتدفع لها مقررية قيمتها ألفا أشرفي كما كانت هرمز تواجه مشكلة الموارد البشرية الفقيرة، وعالجتها بالاعتماد على التحالفات المحلية على أسس مالية وبالاعتماد على المرتزقة والمماليك[٨٢].

غير أنَّ المعضلة الكبرى التي هدَّدت النظام السياسي في هرمز كانت كثرة الصراعات الداخلية على العرش بين أبناء الأسرة الحاكمة، ما استنزف قواهم، ويكفي دليلًا على ذلك أنَّ عشرة ملوك حكموا هرمز بين ١٤٠٠ و١٥٠٦ قُتِلَ منهم أربعةٌ وخُلِعَ منهم خمسةٌ،وقبيل الغزو البرتغالي تعرَّضت هرمز لأزمة حادة على المستوى الداخلي، حيث وصل الصراع على الحكم إلى الذروة، وآل في النهاية إلى حكم خواجا عطا وحكم البلاد حكمًا مطلقًا باسم صبي صغير لم يكن قد تجاوز الثانية عشرة من عمره، وحين وصل البرتغاليون خواجا عطا كان قد مضى عشرون شهرًا على تسلمه الحكم[٨٣].

تميّزت فترة دخول البرتغاليين وإنشاء الإمبراطورية البرتغالية "إيستادو دا إنديا" في أقاليم آسيا البحرية، في القرن السادس عشر، بثلاث مراحل؛ فقد شقّوا طريقهم في المرحلة الأولى من عام ١٥٠٠م وحتى نهاية حكم ألفونسو دي البوكيرك عام ١٥١٥م، للوصول إلى المحيط الهندي وخليج عمان، وثبّتوا أنفسهم هناك بقوة السلاح، أما المرحلة الثانية والتي دامت من عام ١٥١٥م وحتى نحو عام ١٥٦٠م[٨٤]، فقد توصّلت خلالها النيابة الملكية في جوا إلى أوج

قوّتها البحرية، كما تمكّنت من وضع احتكار نصفي في تجارة التوابل قيد التنفيذ. لقد سعى البرتغاليون، بواسطة سلسلة من المستوطنات المحصّنة في المحيط الهندي، يساندها دورية بحرية منتظمة، إلى تعزيز احتكارهم للتجارة بإلزام التجار المحليين شراء تصاريح مرور لضمان سلامتهم "كارتاز" من "إيستادو دا إنديا" ودفع الرسوم الجمركية وخلال المرحلة الأخيرة من الانحدار، واجه البرتغاليون مقاومة أهلية طبيعية ومنافسة خارجية من قوى أوروبية أخرى[٨٥].

شهدت العقود الأولى من القرن السادس عشر تأسيسَ الإمبراطورية البرتغالية، بعزم واحد من قبل لشبونة للسيطرة على أكثر الموانئ تحقيقًا للربح في شرق أفريقيا، وملبار، وكنكان، والخليج، ومضيق ملقا؛ ففي عام ١٥٠٧م استولى البوكيرك على سوقطرة، لتصبح قاعدة لسدّ الطريق عن البحر الأحمر[٨٦]، ومن ثمّ حوّل كلّ اهتمامه إلى هرمز، التي تسيطر على مدخل الخليج العربي، لانتزاع كلا هذين الطريقين التجاريين المهمين من قبضة المسلمين. ومنذ عام ١٥٠٧م، تمكّن البرتغاليون من تشديد الخناق على تجارة عمان البحرية، حين سيطروا على عدة موانئ ومدن تجارية هامة في الخليج وتشمل جلفار (إمارة رأس الخيمة في دولة الإمارات العربية المتحدة) وخصب، إضافة إلى المدن الساحلية الواقعة بين رأس الحدّ وشبه جزيرة مسندم، وتشمل موانئ: صور، وقريات، ومسقط، ومطرح، وسيب، وصحار، وخورفكان، ودبا، وليما[٨٧].

وفيما رحّبت قلهات– الواقعة على ساحل عمان– بالبوكيرك، أبدت كلّ من قريات ومسقط مقاومة ضدّه، ما جعلهما تتعرّضان لعمليات السلب والنهب؛ ورغم أنّ صحار كانت محميّة بحصون وأبراج كبيرة وضخمة إلاّ أنها استسلمت دون مقاومة من جانبها. من ناحية أخرى لقيت مدينة خورفكان وهي مدينة في إمارة الشارقة بدولة الإمارات العربية المتحدة، وكانت آنذاك ميناءً يمتاز بالازدحام والازدهار مصيرَ مسقط نفسه فقد استُوليَ على المدينة وحرقت بحيث لم يتبقّ فيها أيّ مبانٍ قائمة، كما تعرّضت النساء والأطفال إلى الأسْر، وقُتل

العديد من الرجال. وصف البوكيرك خورفكان بأنها "مكان كبير جدًّا"، وأنّها مدينة تحتوي على منازل جيدة، كان يعيش فيها عدد كبير من تجّار الهند الأغنياء[٨٨]، وكان هناك أيضًا إسطبلات كبيرة تحتوي على الخيول التي كانت تصدّرها إلى الهند. وفي داخلها أراضٍ وممتلكات كثيرة عليها منازل مبنية بشكلٍ جيّد، وكان فيها الكثير من أشجار الفاكهة والخضراوات، وفيها عدد كبير من بِرَك المياه التي كانت تستخدم لأغراض الريّ. وفي الميناء عدد من المراكب ذات ثلاث صوارٍ لصيد السمك، والشباك أيضًا[٨٩].

كان وصول البرتغاليين إلى المنطقة نقطة تحوّل في تاريخ المحيط الهندي والخليج العربي لأكثر من سبب؛ فقد سعوا خلال النصف الأوّل من القرن السادس عشر، إلى تثبيت سيادتهم التنفيذية في المحيط الهندي بإبعاد التجّار المسلمين، وفرضوا بوجود سفنهم البحرية المسلّحة نظام شراء تصاريح المرور البحرية "الكرتاز" على سفن التجّار المسلمين غير المسلّحة. لقد حدّد تحوّل التجارة الشرقية من أيدي عرب الخليج، الذين كانوا لقرون عديدة بارعين في التجارة البحرية وخوض البحار، بدايةَ الانحدار الاقتصادي في المنطقة. وعلى الصعيد الأوروبي تمكّن البرتغاليون من تحويل تجارة التوابل من المراكز التجارية الرئيسة التقليدية في الإسكندرية والبندقية إلى لِشبونة وأنتويرب لتوزيعها في سائر أنحاء أوروبا[٩٠].

لعب البرتغاليون في الواقع دورًا مميّزًا ليس فقط في تحويل النظام التجاري في المحيط الهندي، بل من حيث ميزته الأساسية وتكوينه أيضًا، مما كان عليه بين عامي ٦٠٠م و١٥٠٠م. كان البرتغاليون قد استولوا على دَور الوسيط التجاري بين موانئ المحيط الهندي من أعضاء كانوا يمثلون الطور الطبيعي الفطري في التجارة؛ وما لبثت أن تأثّرت مجتمعات العرب المحليين التجارية، والمجتمعات الأخرى في المحيط الهندي بتلك التحوّلات. وتحت تأثير انتهاكاتهم وسيطرتهم، تركت المجتمعات العربية التجارية في الخليج والساحل، حيث تراجعوا مؤقتًا نحو المناطق الداخلية، كما تعرّضت عدة مدن تجارية في عمان وسائر مدن الخليج العربي للانحدار[٩١].

أدّت عدة عوامل مشتركة خلال القرن السابع عشر إلى إضعاف سيطرة البرتغاليين على الساحل العربي، ومن ثَمّ انحدار سيادتهم في الخليج، وكان استمرار مقاومة موانئ الخليج ضدّ الاحتلال البرتغالي وتشديد الخناق عليهم من المجتمعات الاقتصادية في المنطقة، من أهمّ الأسباب التي أدّت إلى ذلك، وقبل ذلك بكثير كانت قد قامت في عامي ١٥٢١م و١٥٢٦م ، ثورتان رئيستان ضدّ سيطرة البرتغاليين عبر الساحل العربي، اشتركت فيهما كلّ من هرمز، والبحرين، وقلهات، وصحار، ومسقط. وفي عام ١٦٠٢م، تمكّن شاه عبّاس الأوّل، حاكم فارس، من طرد البرتغاليين من البحرين، واستُولِيَ على هرمز عام ١٦٢٢م نتيجة عملية عسكرية إنجليزية – فارسية مشتركة. كان سقوط هرمز للبرتغاليين هزيمة رمزية لإمبراطورية البرتغاليين الهندية "إيستادو دا إنديا[٩٢]".

استولى الفرس في السنة نفسها، على خورفكان، ولكن ما لبث الأميرال البرتغالي راي فرير دا أندرادا أن طردهم منها عام ١٦٢٣م، وبعد ذلك بفترة قصيرة تمكّنت قوة عربية بقيادة إمام اليعاربة الأوّل ناصر بن مرشد، من طرد راي فرير نفسه. لقد خَرَجَت مسقط وساحل عمان كليًّا من قبضة البرتغال نتيجة لقوة وطنية فرضتها نشأة تلك السلالة العربية الجديدة، وتمكّنت قوات اليعاربة عام ١٦٣٣م بقيادة ناصر بن مرشد، من طرد البرتغاليين من جلفار ودبا كذلك، حيث كان البرتغاليون قد بنوا قبل ذلك، حصونًا وقلاعًا لهم، كما استعادوا صحار عام ١٦٤٣م[٩٣]. وقد استمرّ القتال إلى أن استعيدت مسقط آخر معاقل البرتغاليين عام ١٦٥٠م، تحت قيادة الإمام الجديد سلطان بن سيف. ومع نهاية القرن السادس عشر بدأت كلّ من بريطانيا وهولندا تبدي اهتمامًا بإقامة روابط وعلاقات تجارية مباشرة مع الشرق، وكان وصول السفن البريطانية والهولندية في المحيط الهندي كمنافسين تجاريين لتحقيق السيادة على البحر، قد شكّل أكبر تحدٍّ كان على البرتغاليين أن يواجهوه في آسيا. لقد برهن هذا التنافس على المدى الطويل نهاية قوّتهم وازدهارهم الاقتصادي، وأدّى إلى انحلال وتمزيق إمبراطوريتهم الشرقية[٩٤].

ورغم انحدار قوة البرتغاليين في المحيط الهندي والخليج العربي، إلا أنّ

سجلاتهم التاريخية وبعثاتهم تركت وراءها الكثير من الروايات حول تقدّمهم في الشرق، فثمّة الكثير من الوثائق المطبوعة منها والمخطوطة تلقي ضوءًا قويًّا على الشؤون العربية المحلية المعاصرة، كما تحتوي على معلومات مهمة عن الأماكن والأشخاص والأحداث المتعلّقة بدولة الإمارات العربية المتحدة الحديثة، وتعتبر رحلات "بيدرو تيكسيرا The Travels of Pedro Teixiera"، النصَّ الجغرافيَّ الرئيس خلال النصف الأوّل من القرن السابع عشر. كانت الإشارة الوحيدة لأم القيوين في القديم قد ظهرت فقط في كتاب بالبي الجواهري البندقي، وفي كتاب "دوارت باربوسا" الذي أشار إليها باسم "مالقويهون Malquehoan. " وظلّ البرتغاليون لمدة قرن ونصف تقريبًا يفرضون سيادتهم المطلقة على الخليج، ولكنّهم في الوقت نفسه ورغم مواجهتهم تحديات كثيرة، واجهوا تحديًا كبيراً من الغزو العثماني من الشرق الأوسط[٩٥].

لقد شكّل التنافس القائم بين العثمانيين وبين الصفويين الفرس – الذين كان البرتغاليون قد أقاموا سياسة من التعاون المشترك معهم ضدّ العثمانيين – عائقًا كبيرًا أمامهم لطرد البرتغاليين طردًا دائمًا من الخليج العربي أو المحيط الهندي. وبقيام ثورة اليعاربة في بداية القرن السابع عشر، تحرّرت عمان أخيرًا من سيطرة البرتغاليين[٩٦].

الأوضاع الاقتصادية:

شكل تعامل هرمز التجاري مجالًا واسعًا للغاية، حيث يتوافر هناك التجارة الدولية والتجارة الإقليمية مع الدول المجاورة، والتجارة الداخلية ، وغدت ضمن أهم المناطق التي تقوم بتجميع وحصر السلع التجارية في الخليج، كما أنها عملت على اكتساب شهرة عالمية باعتبار أنها لأى محطة أساسية للفت تجارة الهند القادمة إلى أوربا، مما جعل أموالا كثيرة ترد إلى الخزانة الملكية، ومن ضمنها نتيجة الضرائب السنوية التي ترد هرمز من المناطق التابعة لها في الخليج وعمان ما يصل مئة وثمانية وتسعين ألف أشرفي ذهبًا إضافة إلى النشاط البحري والتجاري للعرب القادمين من مناطق عمان واليمن والبصرة والبحرين ورأس الخيمة.

ومن الأنشطة الاقتصادية التي كانت تمارس في هرمز، إضافة إلى التجارة البحرية:

- الزراعة المروية وتصدير الحبوب والتمور.
- التربية المتنقلة لقطعان الحيوانات وتصدير الخيول العربية التي تربى في عُمان إلى بنادر الهند.
- صيد الأسماك وتصدير الأسماك المجففة من عُمان.
- تبادل منتجات مالكي الأراضي بالأقمشة والتوابل والأرز أو الرقيق القادم من وراء بحر الهند.

وعلى هذا النحو قد قام الرحالة لودفيج ما رتمان زيارة مملكة هرمز إبان عام ١٥٠٢م، أي خلال السنوات القليلة السابقة لوصول البرتغاليين إلى هرمز، وقد كانت كتابتها عنها خير دليل على وصولها أرقي مستويات تطورها ومقدار الرخاء الاقتصادي التي وصلت إليه ويقال إنه كان يتواجد بمينائها ما يزيد في أغلب الأحيان على ثلاثمائة سفينة تجارية لمختلف بلدان العالم راسية على أرصفتها البحرية، كما كان يقيم فيها بصفة دائمة أكثر من أربعمائة تاجر، وأنَّ معظم تجارتها كانت من اللؤلؤ والأحجار الكريمة والحرير والعقاقير والتوابل .

العلاقات السياسية بين مملكة هرمز وإمارة الجبور

إن العلاقة بين البحرين أو إمارة الجبور تحديدًا وبين مملكة هرمز وحكامها في القرن الخامس عشر الميلادي، أثر كبير في الأوضاع السياسية والاقتصادية بمنطقة الخليج العربي وقد أدى تدهور تلك العلاقة ووصولها إلى قمة مراحل التنافر، إلى أحتلال البحرين من قبل البرتغاليين وهرمز معًا عام ١٥٢١م[٩٧].

لا بد أن نشير هنا إلى أنه منذ بداية النصف الثاني من القرن الثامن الهجري، الرابع عشر الميلادي، كانت كل من القطيف والأحساء تدينان بالتبعية لمملكة هرمز، في حين أصبحت جزيرة البحرين تُحكم من قبل حكام يعينون

مباشرة من قبل ملوك هرمز وظل ملك هرمز (قطب الدين فيروز شاه تهتمن) الذي حكم حتى ١٤١٧م، يلقب بملك (هرمز والبحرين والحساء والقطيف) وهذا الحال استمر ما دام لملوك هرمز هيبتهم ونفوذهم في المنطقة وكان ذلك يساعد على تثبيت الأوضاع السياسية في بلاد البحرين أيضا[٩٨].

إن التنافس والصراع كان هو السائد بين ملوك "هرمز" وشيوخ "الجبور" في الخليج العربي قبل وصول البرتغال، وعلى الرغم من أن "الجبور" كانوا هم القوة الصاعدة، إلا أن "هرمز" كانت هي القوة الرسمية المتصدية للزعامة، وكان عليها أن تتكفل بحماية الخليج العربي من الاحتلال البرتغالي، رغم التفكك السياسي الذي كانت تعاني منه[٩٩].

تلك الملاحظة لها أهميتها الخاصة، ليس لأن ذلك دليل واضح على عدم تبعية "هرمز" للدولة "الصفوية" أو الدول التي سبقتها في فارس، بقدر ما يرجع إلى عدم مقدرة فارس في ذلك الوقت على احتلالها كما كانت تتخوف من منافستها، إلى أن مملكة هرمز العربية كانت أقدم بكثير من الدولة الصفوية التي نشأت بعد نهاية ممالك الأتراك في شمال فارس و"الأناضول"، وكانت عاصمتها في "تبريز" قبل أن تنتقل إلى "أصفهان" بعد تدميرها واجتياحها من قبل العمانيين، ومن هناك بدأت تتجه وتتوسع نحو سواحل الخليج العربي الشرقية، كما وجدت لاحتلال البرتغال الصليبي لمملكة هرمز العربية، فرصة سانحة للتعاون معه ضد الدولة العثمانية الإسلامية[١٠٠].

وعند وصول البرتغاليين كانت هرمز حاضرة لدولة كبيرة تسيطر على جزر أخرى في الخليج العربي، علاوة على بعض المدن في سواحل عمان والبحرين، وتعج بالثروات التجارية، لذلك أصبحت هدفًا للبرتغاليين عند وصولهم، وأهم المراكز التجارية في الخليج العربي قبل وصول البرتغاليين هي: مسقط، خورفكان، قلهات[١٠١].

سيطرت إمارة الجبور على منطقة الإحساء والبحرين منذ بداية القرن الخامس عشر، وهذا الوضع أتاح للجبور أن يمدوا سيطرتهم إلى عمان الداخلية نفسها، وعندما وصل الاستعمار البرتغالي إلى السواحل العمانية التابعة لهرمز،

انفرد الجبور بالساحل الذي لم يجد مساندة تذكر إضافة إلى المناطق الداخلية من عمان[١٠٢].

واستخدم الجبور عاطفة القومية العربية لتجمع القبائل العربية، ويستغلون مركزهم في شرق الجزيرة العربية، وخاصة في عمان، حيث استطاعوا من هناك تهديد هرمز في أخطر المواقع، ألا وهو مدخل الخليج العربي الجنوبي الذي تعول عليه للإبقاء على وجودها، مما اضطر هرمز إلى خوض الحروب ضد أهم مركزين تجاريين للعرب في الخليج العربي في القرن الرابع عشر، ألا وهما البحرين وجزيرة قيس، وهي حروب تواصلت فيما يبدو حتى عام ١٣٢٠م، بتمكين الملك قطب الدين من الاستيلاء على قيس وإخضاع البحرين، وليس ذلك وحسب، ولكن الجزء الأكبر من الساحل الشمال الغربي لعمان (ساحل عمان) ظل لفترة طويلة تابعًا لمملكة هرمز[١٠٣].

وتعاظمت قوة الجبور في شرق الجزيرة العربية، مستغلين بداية انحسار وضعف نفوذ مملكة هرمز، وتمكّنوا من التحكُّم السياسي بالمنطقة لمدة تزيد على مئة وخمسين عامًا حتى مجيء البرتغاليين، غير أنَّ التحدي الأهم الذي واجهته الإمارة الجبرية هو وقوعها عند حدود القوى الإسلامية الثلاث الكبرى المتصارعة آنذاك في المشرق الإسلامي في وقت ظهور الغزو البرتغالي وهي (الصفويون، والعثمانيون، والمماليك)، وكان لا بدَّ للجبور أن يحدِّدوا موقفًا ممَّا كان يدور حولهم بين هذه القوى من حروب وهزائم[١٠٤].

الدولة الجبرية هي دولة عربية حكمت الجانب الشرقي من الجزيرة العربية من أواسط القرن الخامس عشر الميلادي وحتى أواسط القرن السادس عشر وقد امتد نفوذها من سواحل عمان جنوبًا وحتى الكويت الحالية شمالًا، وضمّت أيضًا جزر البحرين وامتد نفوذها إلى شرق نجد[١٠٥]، وكانت عاصمتهم في الإحساء وقد كان حكام هذه الدولة، بنو جبر، وكان أشهر أمرائها أجود بن زامل الجبري الذي عاش من عام ١٤١٨ حتى ١٥٠٧م وكانت للجبريين معارك مهمة مع البرتغاليين في البحرين وعمان كما كان أمراؤها من المهتمين بالعلوم الشرعية، وخصوصًا المذهب المالكي وعملوا على تعزيز المذهب السني في

المنطقة وانهزم الجبريون على يد قبيلة المنتفق عام ١٥٢٤ م فسقطت دولتهم بعد ذلك وخضعت المنطقة للدولة العثمانية[١٠٦].

بعد ما يزيد على ربع قرن من اختفاء إمارة العصفوريين العامرية نجحت قبائل ابن عقيل بن عامر العدناني في بسط سلطانها على مناطق من نجد وشرق الجزيرة العربية بزعامة أسرة تنتمي الى جدها الأكبر جبر فعرفوا ببني جبر ضمن بطن الجبور وعرف جبر كمؤسس للدولة العقيليه الجبرية نسبة الي جده عقيل وشكل ذلك التباس لدي الكثيرين حول نسب حكام الدولة العقيليه الجبرية لتسميتهم بالعقيلي وبالعامري ومنهم من اعتبرهم من بقايا إمارة العصفوريين[١٠٧].

وبعد سقوط الإمارة العصفورية تولت زعامة مدن الإقليم سلالة عُرفت باسم بني جروان ووفقًا لبعض المصادر فإن بني جروان أسرة تنتمي إلى قبيلة عبد القيس، التي ظهرت على مسرح السياسة بمجرد غياب سلطة مركزية كبرى في المنطقة حكم في تلك السلالة كل من سعيد بن مغامس وجروان المالكي وابنه ناصر وحفيده إبراهيم، وكانوا من غلاة الشيعة وفقًا لبعض المصادر العربية المعاصرة لهم، وعندما مات جروان تسلم ابنه ناصر القيادة ومن ثم ابنه إبراهيم الذي كان على قيد الحياة عام ٨٢٠هـ/ ١٤١٧م ومن الصعب تحديد تفاصيل مهمة عن هذه الإمارة، غير أنها إمارة تنتمي لبني مالك بن عامر من عبد القيس، ونجحت في تأسيس سلطة سياسية في الإحساء والقطيف في الفترة الانتقالية المحصورة بين سقوط العصفوريين وقيام الجبريين وكانوا يدينون بالتبعية لسلطنة هرمز، أما جزيرة البحرين، فكان يحكمها ولاة ملك هرمز حكمًا مباشرًا[١٠٨].

الجبور من بني عقيل بن عامر بن صعصعة من هوازن وتنتسب إمارتهم إلى زامل بن حسين بن ناصر بن جبر باعتباره مؤسس هذه الإمارة، فقد تمكن الشيخ زامل من انتزاع القطيف من إبراهيم بن ناصر بن جروان في نحو عام ٨٤٣هـ/ ١٤٣٩م، ثم استطاع فرض سيطرته على الإحساء في نحو عام ٨٥٠هـ/ ١٤٥٠م وبذلك انتهى أمر بني جروان وبدأ دور الجبور السياسي

في بلاد البحرين منذ ذلك التاريخ ومتى كانت منطقة نجد تشهد التفكك السياسي وغياب السلطة الموحدة آنذاك، استطاع الشيخ زامل بفرض سيطرته على أجزاء واسعة من نجد باعتبارها ممرًّا لقوافل التجارة؛ وذلك مستغلًّا النفوذ والتأييد الذين كان يحظى بهما الجبور فيها. ومن أجل إخضاع قبائل نجد المعارضة للجبور، من مثل الدواسر، والفضول، وعابذ، قاد زامل نحو خمس حملات عسكرية تأديبية، غير أن جميعها لم تفلح في إنهاء تمردات القبائل النجدية ضد الجبور[١٠٩].

نجح الشيخ زامل في فرض هيبة إمارته على الجميع وتثبيت نفوذه بين البدو والحضر، في إطار من المصالح المشتركة بين الفئتين وإقامة سلطة سياسية للجبور في كل من بلاد البحرين ونجد، وبذلك أصبح بنو جبر قوة رئيسة في شرق الجزيرة العربية ونجد. وقد ساعدت الجبور القاعدة الاقتصادية والأوضاع السياسية الإقليمية المضطربة في تثبيت دعائم إمارتهم. كما استطاعوا بتقوية صلاتهم بالأسرة الحاكمة بسلطنة هرمز عن طريق التزاوج والمصاهرة[١١٠].

توفي الشيخ زامل في نحو ٨٧٠هـ/ ١٤٦٥م، وكان له ثلاثة أولاد هم: سيف، وأجود، وهلال. وقد أدى سيف دورًا بارزًا في حياة والده، وشاركه في صنع كثير من السياسات التي أسهمت في تأسيس دولة الجبور، وتثبيت سلطتها، مما جعل بعض الباحثين المحدثين يعدونه مؤسسًا حقيقيًّا للدولة الجبرية وقد تولى السلطة ما بين عامي ٨٧٠- ٨٧٤هـ/ ١٤٦٥-١٤٧٠م ويبدو أن الجبور في بداية عهدهم، وفي أثناء فترة تأسيس دولتهم، واجهوا معارضة شديدة لحكمهم من أقربائهم العصفوريين الذين ثاروا على الجبور بزعامة الشيخ مانع بن بدران لاستعادة سلطتهم السابقة، فرد الجبور بزعامة سيف بن زامل، وقتلوا مانع وعليان، ثم قام العصفوريون بزعامة كليب بن ماجد بن بدران بقتل سيف بن زامل ثأرًا لقتلاهم وقضاء بهم وطمعوا في استرداد ملكهم القديم، غير أن السلطان أجود طردهم من الإحساء، فلجأوا إلى البادية في أطراف العراق، وصودرت أملاكهم وبساتينهم في الإحساء[١١١].

تولى السلطان أجود بن زامل مقاليد الحكم بعد مقتل أخيه سيف، وقد حكم السلطان أجود مدة طويلة تقدر بثلاثين عامًا منذ عام ٨٧٤هـ/ ١٤٧٠م إلى عام ٩٠٢هـ/ ١٤٩٦م وبلغت الإمارة الجبرية في عهده أقصى قوتها وأتساعها، ولهذا تعتبر فترة حكمه العصر الذهبي لتلك الإمارة وجاء وصفه عند المؤرخين المعاصرين له بأنه سلطان البحرين والقطيف والإحساء، ورئيس أهل نجد، وذاع صيته ليتعدى حدود جزيرة العرب، واتسعت مملكته حيث شملت البحرين ونجد وعمان وهرمز، وفي عهده قويت علاقة إقليم البحرين بالقوى الخارجية حتى قامت بعض الإمارات الهندية الجنوبية بتعزيز علاقتها بالإمارة الجبرية في عهده[١١٢].

وقد تزامن وصول الغزو البرتغالي مع وجود السلطان (محمد بن أجود) على رأس السلطة في إمارة الجبور وإن الجهود التي بذلها زامل بن حسين الجبري لإقامة سلطة سياسية لقبيلته وقدرته على الاستفادة من الظروف المحيطة به كانت قد أثرت على امتداد نفوذه على منطقة واسعة من جزيرة العرب، تاركًا لخلفائه من بعده مهمة تدعيم بنيانها وتوسيع رقعتها وتذكر المصادر بأن لزامل هذا ثلاثة أولاد وهم هلال وسيف وأجود؛ فسيف هو الذي كان قد لعب دورا بارزا في حياة والده، مما حمل بعض الباحثين المحدثين على اعتباره مؤسس إمارة الجبور. وقد سبق لنا أن ناقشنا هذه الفرضية ورجحنا أن والده زامل هو المؤسس الحقيقي لإمارة الجبور.

وقد بقي سيف في السلطة لفترة قصيرة ليخلفه بعد ذلك أخوه أجود، الذي حكم الإمارة لفترة طويلة أن معلوماتنا من عهد أجود هي أفضل منها نسبيًّا عمن سبقه أو تلاه، ويبدو أن أجود هذا قد ساهم في حروب والده وأيده ومارس قسطًا من السلطة، فبرزت مواهبه العسكرية والسياسية وكسب شهرة مما أهله لتولي إمارة الجبور بدون منازع، فإن الظروف التي كانت تمر بمنطقة الخليج قد أهلت أجود بن زامل لأن تبرز قابلياته على نطاق واسع وأن تتجاوز شهرته حدود جزيرة العرب[١١٣].

وتعد حالة الضعف والانحلال والاضطراب التي أخذت تعاني منها

مملكة هرمز والأخطار التي كانت تهدد وجودها باستمرار من قبل دولة آق قرينلو في إيران، كل ذلك جعل هذه المملكة مشلولة الحركة تجاه بروز الجبور وتعاظم قوتهم في شرق الجزيرة العربية والأخطار المحتملة من قبلهم على نفوذ المملكة في تلك الجهات، فهذا الوضع السائد في حوض الخليج العربي في الثلث الأخير من القرن الخامس عشر قد هيأ لزعيم الجبور الطموح أجود بن زامل الفرصة للتوسع، وعند وفاة فخر الدين توران شاه خلف أربعة أولاد، وهم مقصود وشهاب الدين وسلفور وشاه ويس، وقد دار بين هؤلاء الإخوة صراع حول العرش. فقد خلف مقصود أباه في العرش، لكن أخاه شهاب الدين لم يدعه يتمتع طويلا بالسلطة، إذ ثار عليه وانتزع العرش منه إلا أن شهاب الدين هو الآخر لم تستقم له الأمور طويلًا، إذ أطاح به أخوه سلفور، ولم يكن حظ سلفور بأفضل من حظ أخويه السابقين إذ ثار ضده أخوه الأصغر شاه ويس وانتزع الملك من يديه، فما كان من سلفور إلا أن أخذ يفتش عن نصير يساعده على إعادته إلى عرشه والانتقام له من أخيه[١١٤].

وعليه فقد لجأ إلى والد زوجته سليمان بن سليمان النبهاني حاكم عمان الداخل. إلا أن سليمان هذا لم يقدم له المساعدة المطلوبة نظرًا لأنه كان حاكمًا عاجزًا وضعيفًا مترددًا. لم يكن أمام سلفور غير التوجه الى الإحساء من أجل طلب الدعم والمساعدة من زعيم الجبور الأمير أجود بن زامل. وقد وجد السلطان أجود في لجوء سلفور اليه فرصة ثمينة للتدخل المباشر في شؤون مملكة هرمز ولتوسيع إمارته على حسابها عن طريق إملاء شروطه على سلفور لقاء هذه المساعدة. وعليه فقد أظهر أجود بن زامل استعداده لمساعدة سلفور شرط أن يتنازل الأخير له عن كافة حقوقه وادعاءاته في القطيف وجزر البحرين وأن تعود ملكيتها لإمارة الجبور[١١٥].

ولم يكن أمام سلفور غير الموافقة على شروط أجود هذه ولم يطالب بغير أن يترك له ملكية بعض البساتين في جزيرة البحرين، فأجيب طلبه وتم توقيع افاق مكتوب بموجب ذلك بين الطرفين. وتنفيذًا لهذا الاتفاق قام أجود بن زامل عام ٨٨٠/ ١٤٧٥ بحشد قواته في جلفار (رأس الخيمة) ومن المحتمل

جدًّا أن أجود قد أسند قيادة قواته الى ولده زامل إذ تذكر المصادر البرتغالية أن سلفور قد طلب المساعدة من ريس زامل حاكم سلوت وربما كان زامل يحكم من هذا الميناء شبه جزيرة قطر والمنطقة الساحلية لبلاد البحرين نيابة عن والده. مهما يكن من أمر فإن هذه القوات قد انطلقت على ظهر سفن لغزو جزيرة (هرمز) يرافقها سلفور وتمكنت من احتلالها والقبض على شاه ويس ووزيره خواجة عطار وتنصيب سلفور ملكًاً على هرمز[١١٦].

وكنتيجة لذلك، أصبحت كل من القطيف وجزر البحرين وأجزاء من إمارة الجبور. ومما هو جدير بالذكر بأن حكم الشيخ أجود قد شمل بلاد هرمز وربما يعني بقوله هذا أجزاء كانت في السابق من مملكة هرمز كالقطيف والبحرين، أما اذا كان يقصد أجزاء غيرها فهذا خطأ محض أوقعته فيه رواية السخاوي المشوشة عن علاقة أجود بسلفور شاه[١١٧].

وزاد الصراع بين هرمز والجبور ذلك أنه أصبح لأجود شهرة واسعة ولإمارته مكانة كبيرة، ولا أدل على ذلك من أن أجود أصبح يلقب بسلطان البحرين والقطيف والإحساء ورئيس أهل نجد وهي ألقاب كان ملوك هرمز يفخرون في السابق بحملها، كما أننا نجد من الجهة الأخرى أن مملكة الدكن البهمنية في الضد تسعى إلى صداقته فراسله وزيرها الشهير محمود كاوان طالبًا منه إقامة علاقة صداقة وتعاون بين الدولتين، وفي ذلك دليل على أن شهرة أجود قد جاوزت حدود منطقة الخليج العربي لتصل الى الهند أخذ سلفور شاه يعمل على التذرع بمبررات للتخلص من الاتفاقية التي عقدها مع السلطان أجود فأخذ يطالب الأخير بأن يدفع له مبالغ سنوية من واردات هاتين المقاطعتين باسم حقوق التبعية، لكن أجود رفض ذلك وتمسك بالاتفاقية المكتوبة بينهما ولجأ سلفور الى استعمال القوة لإسناد مطالبه فأرسل عدة حملات بحرية ضد جزر البحرين والقطيف، كانت إحدى هذه الحملات بقيادته وأخرى بقيادة وزيره نور الدين الهالي كما قاد إحدى الحملات أيضا طوران شاة بن سلفور شاه. وقد تصدى الجبور ببسالة لهذه الحملات جميعًا وأحبطوها بقيادة السلطان أجود بن زامل مستفيدين من تفوقهم العسكري في البر[١١٨].

مما تجدر الإشارة إليه هنا أن المستشرق الفرنسي أوبين يميل للاعتقاد بأن الحملة التي قادها طوران شاة عام ٨٩٠/ ١٤٨٥ قد نجحت في احتلال البحرين وإن ما ذهب إليه أوبين يصعب قبوله للأسباب التالية. وقد وصف ابن ماجد جزر البحرين فقال: (بإنها لأجود بن زامل عند تألفينا الكتاب) وبما أن كتاب ابن ماجد ((الفوائد)) قد ألف ما بين عامي ٨٩٥- ٩٦/ ١٤٨٩- ٩٠، فمعنى ذلك أن أوبين كان على خطأ فيما ذهب إليه[١١٩].

وفي خلال تلك السنة التي رجح فيها جان أوبين احتلال طوران شاه للبحرين كانت مملكة هرمز تعاني خوفا شديدًا من أطماع صوفي خليل بك موصولون رجل دولة آق قوينلو القوي ولم تستطع هرمز أن تتنفس الصعداء إلا عندما ابتعد خطره عنها عام ٨٩١/ ١٤٨٦. في مثل هذه الظروف التي تهدد هرمز يصعب قبول فكرة قيامها بحملة قوية ضد البحرين والقطيف[١٢٠].

لقد أتاح الصراع السياسي الداخلي في عمان ما بين الإباضيين والنبهانيين للجبور الامتداد بنفوذهم إلى هذا الإقليم المهم، وتحقق لهم ذلك حينما التجأ عمرو بن الخطاب الخروصي زعيم الإباضيين إلى طلب المساعدة من السلطان أجود بن زامل الذي أرسل جيشه بقيادة ولده سيف بن أجود في عام ٨٩٣هـ/١٤٨٧م لمساعدة عمر بن الخطاب الخروصي، وقد تمكن الجيش من طرد سليمان النبهاني الذي انتزع الحكم من الخروصي، فلجأ سليمان إلى هرمز[١٢١]، وأعيد الخروصي حاكمًا لعمان وكان من شروط ذلك الدعم العسكري أن يدفع الإباضيون جزءًا من المحاصيل الزراعية للجبور في كل عام. وعن نفوذ الجبور في عمان جاء في بعض المصادر البرتغالية بأنها تخضع لملك الجبور، في حين وصف السلطان أجود بأنه يحكم أيضًا جميع جزيرة العرب ومتى كان إقليم ظفار في الجنوب العماني محطة رئيسة على طريق التجارة البحرية إلى موانئ البحر الأحمر من ناحية، وطريقًا بريًّا رئيسًا للقوافل التي كانت تنطلق من نجد إلى ظفار عبر وادي الدواسر، سيطر السلطان أجود على هذا الإقليم واتخذ من ظفار منفذًا رئيسًا لتصدير البضائع التجارية إلى الهند[١٢٢].

وكذلك حينما حدث الصراع بين سلغور بن فخر الدين توران شاه

وأخويه ملوك هرمز حول السلطة، حيث قام سلغور بإقصاء أخويه غير أن أخيه الأصغر شاه أويس ثار عليه وأقصاه عن العرش، فلجأ سلغور إلى السلطان أجود الذي وجد فرصة تاريخية مناسبة لاحتواء النفوذ الهرمزي في بعض مناطق بلاد البحرين، فأبدى استعداده لمناصرة سلغور شريطة أن يتنازل الأخير له عن كافة ادعاءاته في القطيف وجزر البحرين[١٢٣]، ووافق سلغور على ذلك، ووُقع اتفاق بين الطرفين بهذا الخصوص، وتنفيذًا لذلك الاتفاق قام أجود بن زامل في عام ٨٨٠هـ/ ١٤٧٥م بحشد قواته في جلفار وأسند قيادة تلك القوات إلى ولده ريس زامل حاكم سلوه، الذي كان يحكم من هذا الميناء في شبه جزيرة قطر والمنطقة الساحلية لبلاد البحرين نيابة عن والده، وقد نجح ريس زامل في مهمته حيث تمكن من غزو جزيرة هرمز واحتلالها، والقبض على شاه أويس الحاكم ووزيره خواجه عطار، ثم تنصيب سلغور حاكمًا وملكًا على هرمز، ولكن في وقت لاحق، وبعد أن استقر لسلغور الأمور[١٢٤]، غير رأيه بشأن ذلك التنازل الذي حرمه من عائدات اللؤلؤ والتمور الهائلة التي كانت تحصد في البحرين والقطيف، وبدأ يتطلع إلى استعادة أو تجديد ادعاءاته في جزر البحرين والقطيف، وضرورة أن يدفع الجبور له مبالغ سنوية من واردات تلك المقاطعتين، وهو ما رفضه السلطان أجود، الأمر الذي جعل سلغور شاه يرسل عدة حملات عسكرية فيما بين عامي ٨٩٠- ٩٠٢هـ/ ١٤٨٥-١٤٩٦م، غير أن جميعها قد باء بالفشل[١٢٥].

شهدت منطقة الخليج تغيرات سياسية إقليمية مع دخول البرتغاليين إلى سواحل الخليج منذ عام ٩١٢هـ/ ١٥٠٧م، والتي كانت تحمل بدورها رياح التغيير في النفوذ الجبري في المنطقة. وحينما تمكن البرتغاليون من إحكام هيمنتهم على هرمز في عام ٩٢١هـ/ ١٥١٥م، بدأوا يتطلعون إلى السيطرة على إقليم البحرين، ومع أنهم ليسوا في حاجة للبحث عن الذرائع ولاختلاق المبررات في كل ما كانوا يفعلون في المنطقة، غير أنهم هذه المرة قد لجأوا إلى ادعاءات الهرمزيين القديمة وهي أحقية مملكة هرمز في عودة جزر البحرين إلى سيادتهم، إذ إن في ذلك الادعاء ما يخدم استراتيجية البرتغال في أن تكون

مواجهتهم مع الجبور في البحر، ومن ثم، فإنه في عام ٩٢٦هـ/ ١٥٢٠م حاول الأسطول البرتغالي بمساعدة بعض القوات من جزيرة هرمز الاستيلاء على جزر البحرين في وقت كان فيه السلطان مقرن بن أجود في الحجاز، لذا فقد تولى مقاومة هذا الهجوم حاكم جزر البحرين والقطيف الشيخ حميد ابن أخت السلطان مقرن، وقد أبدى الجبور وسكان البحرين مقاومة شديدة، وتمكنوا من إحباط هذا الهجوم[١٢٦].

وعندما كان الجبور مطبقين على صحار وصل الأسطول البرتغالي بقيادة دون الوين إلى سواحل صحار وهو يعتزم اقتحام المدينة أيضًا لإنهاء التمرد ضد البرتغاليين فيها؛ أدرك لوين بأنه لن يستطيع الوصول إلى نتيجة حاسمة مع صحار من دون أن يغري الجبور بالتعاون معه فأتصل لهذا الغرض بالشيخ حسين بن سعيد الذي رحب بذلك لكنه اشترط أن يحكم الجبور صحار ويبدو أن الجبور كانوا معنيين أساسا بالانتقام من أتباع ملك هرمز في ١٢ ربيع الآخر عام ١١/٩٢٨ مارت ١٥٢٢، وبعد اتفاق الطرفين قام الأسطول البرتغالي بمهاجمة صحار من البحر والجبور من البر، فاضطر السكان إلى طلب الحماية من الجبور خشية تنكيل البرتغاليين بهم فمنحوهم ذلك، كما كلفوا الحامية الهرموزية بالانسحاب مقابل مبلغ من المال، أما ريس شهاب الدين فقد تمكن من الفرار ودخل البرتغاليون صحار من جهة البحر وأخذوا ينهبونها ويشعلون النار فيها، لكنهم انسحبوا منها بعد حين وسلموها إلى الشيخ حسين بن سعيد الذي كان قد دخل صحار من جهة البر، فاستقل في حكم المدينة مع الاعتراف بالسيادة للبرتغاليين[١٢٧].

فقد كان للعلاقة ما بين البحرين أو إمارة الجبور تحديدًا، وبين مملكة هرمز وحكامها في القرن الخامس عشر الميلادي، أثر كبير في الأوضاع السياسية والاقتصادية بمنطقة الخليج العربي، وقد أدى تدهور تلك العلاقة ووصولها إلى قمة مراحل التنافر[١٢٨]، إلى احتلال البحرين من قبل البرتغاليين والهرامزة معًا عام ١٥٢١م. لا بد أن نشير هنا إلى أنه منذ بداية النصف الثاني من القرن الثامن الهجري، الرابع عشر الميلادي، كانت كل من القطيف

والإحساء تدينان بالتبعية لمملكة هرمز، في حين أصبحت جزيرة البحرين تُحكم من قبل حكام يعينون مباشرة من قبل ملوك هرمز، وظل ملك هرمز (قطب الدين فيروز شاه تهتمن) الذي حكم حتى ١٤١٧م، يلقب بملك (هرمز والبحرين والحساء والقطيف) وهذا الحال استمر ما دام لملوك هرمز هيبتهم ونفوذهم في المنطقة وكان ذلك يساعد على تثبيت الأوضاع السياسية في بلاد البحرين أيضا، وتولى مقرن بن زامل زمام السلطة في إمارة الجبور في حدود سنة ٩٢١هـ/ ١٥١٥م الذي تزامن مع بداية ظهور أطماع الصفويين والهرمزيين والبرتغاليين في بلاده، والتي كانت تضم البحرين والإحساء والقطيف، إضافة إلى أجزاء واسعة من نجد وعمان، وقد تزايدت تلك الأطماع بعد أن رافقتها مخاوف عدة من تصاعد قوة مقرن واتساع نفوذه[١٢٩].

ولم يكن آل شبيب، وهم في البصرة، بمعزل عما يجري في إمارة الجبور، بل لعلهم متورطون في بعض أحداثها. فبعد أن أطاح مقرن بن زامل بحكم خاله السلطان صالح، لجأ الأخير، على أرجح تقدير إلى البصرة كما يرى المؤرخ الحميدان، وطلب مساعدتهم .ولعل المعارك التي خاضها السلطان المعزول ضد السلطان الجديد مقرن، كانت بدعم من آل شبيب، وذلك بالإيعاز إلى حلفائهم الأقوياء، كقبيلة بني خالد وبني لام الفضول، بتقديم المساعدة إليه، وإذا ما كان قد حدث هذا فعلًا، فلعله يفسر لنا سبب قيام أسطول السلطان مقرن بمهاجمة المراكب التجارية المترددة على البصرة، إن لم يكن هناك سببٌ آخر غير ذلك[١٣٠].

الخاتمة وأهم النتائج والتوصيات التي توصلت لها الدراسة

توصل هذا البحث إلى مجموعة من النتائج كان من أبرزها مايلي :

- تنبع أهمية الخليج العربي الرئيسية في كونه أحد أهم طرق التجارة العالمية عبر العصور المختلفة وذلك يعود لعدة عوامل منها: العامل الجغرافي، ويأتي هذا العامل في مقدمة الأسباب الخاصة بازدهار التجارة والملاحة في حوض الخليج العربي.
- إن الغزو البرتغالي لمنطقة الخليج العربي كان سببًا في التدهور الاقتصادي

الذي ألم بها، وعانت الموانئ العمانية من آثار ذلك التدهور حيث كانت أول الموانئ في الخليج تعرضا لذلك الغزو بعد ما كان لها من أهمية بالغة في تجارة المحيط الهندي وكان بحارتها على درجة عالية من الكفاءة.

- أتاحت حالة الفراغ السياسي والعسكري التي أعقبت سقوط بغداد في يد المغول، ومن ثم تفكك الإمبراطورية المغولية، الفرصة أمام قوى محلية صغيرة أن تنمو وتفرض سلطانها على مدخل وبعض سواحل الخليج العربي؛ مثل مملكة هرمز العربية ودولة بني جبور في البحرين والإحساء وبنى نبهان في عُمان، والتنافس والصراع كان هو السائد بين ملوك "هرمز" وشيوخ "الجبور" في الخليج العربي قبل وصول البرتغال، وعلى الرغم من أن "الجبور" كانوا هم القوة الصاعدة، إلا أن "هرمز" كانت هي القوة الرسمية المتصدية للزعامة وكان عليها أن تتكفل بحماية الخليج العربي من الاحتلال البرتغالي رغم التفكك السياسي الذي كانت تعانى منه. ولعل مما يلفت النظر أن الدولة الصفوية الناشئة قرب "الأناضول" في ذلك الوقت لم تتعاون مع مملكة "هرمز" العربية لمقاومة الاستعمار البرتغالي.
- عند وصول البرتغاليين كانت هرمز حاضرة لدولة كبيرة تسيطر على جزر أخرى في الخليج العربي علاوة على بعض المدن في سواحل عمان والبحرين، وتعج بالثروات التجارية، لذلك أصبحت هدفًا للبرتغاليين عند وصولهم وأهم المراكز التجارية في الخليج العربي قبل وصول البرتغاليين هي: مسقط، خورفكان، قلهات، وإن الصراع الذي كان قائمًا بين ملوك هرمز وشيوخ الجبور كان هو الوضع السائد في الخليج حين وصل البرتغاليون إلى سواحله.
- ترتبط الحالة السياسية للكيانات العربية في الخليج خلال القرنين الرابع عشر والخامس عشر وبداية السادس عشر الميلادي، بوجود مملكة هرمز وفرض سلطاتها على الإمارات الممتدة من البحرين إلى القطيف إلى ساحل عُمان، وقد بدأ البرتغاليون عملياتهم العسكرية في الخليج العربي في سنة ١٥٠٦م بهدف السيطرة عليه لأهميته الجغرافية والاستراتيجية بالتحكم بطرق التجارة،

واستطاعوا السيطرة على الخليج العربي تدريجيًّا، بإسقاط مدنه مدينة تلو مدينة بالقوة العسكرية المفرطة، فارضين سيطرتهم بصورة تعسفية، ومحتكرين التجارة والطرق التجارية لمدة قرن من الزمن، بسبب السياسة التعسفية والتسلط العسكري البرتغالي، حيث لم ترضخ القوى العربية المقاتلة لذلك، وبدأوا عمليات مقاومة البرتغاليين، ولعبت حركات المقاومة العربية في الخليج العربي دورًا كبيرًا في إضعاف وإسقاط الوجود البرتغالي في الخليج والتخلص من هيمنتهم.

وتوصي هذه الدراسة الباحثين لإجراء المزيد من البحوث في تاريخ الخليج العربي أثناء الغزو الأوروبي عليها بشكل عام، والغزو البرتغالي للخليج العربي وأثره على العلاقات السياسية بين مملكة هرمز وإمارة الجبور بشكل خاص، وإصدار دراسة وثائقية تتناول بالدراسة المتعمقة مرحلة تأثيرات الغزو البرتغالي للخليج العربي بالاعتماد على الوثائق المتخصصة.

الهوامش

١- الخصوصي، بدر الدين عباس: دراسات في تاريخ الخليج العربي، ص ٩٨.

٢- غرايبة، عبد الكريم محمود، مقدمة تاريخ العرب الحديث، ١٥٠٠-١٩١٨م، الجزء الأول (العراق والجزيرة العربية)، دمشق.، ص ١٠٢.

٣- مونيك كيرفران، البحرين في القرن السادس عشر: جزيرة حصينة، تعريب الخزاعي، محمد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٤، ص ٥٧.

٤- بن علوان، راشد علي سعيد، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في إمارات الساحل (١٩٤٥-١٩٧١)، ص ١٠٤.

٥- العيدروس، محمد، التطورات السياسية في الإمارات (١٩٣٢-١٩٧١)، دار الكتاب الحديث، دبي، ٢٠٠٢، ص ٧٦.

٦- قاسم، جمال زكريا، تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر، ص ١٥٣.

٧- النجار، مصطفى، تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر، منشورات اتحاد المؤرخين العرب، القاهرة، ١٩٨٤، ص ٨٧.

٨- خوري إبراهيم، التدمري وأحمد جلال، سلطنة هرمز العربية، المرجع السابق، ص ١٣٩.

٩- الخصوصي، بدر الدين عباس، دراسات في تاريخ الخليج العربي، ص ١٢٥.

١٠- نوال حمزة يوسف الصيرفي، النفوذ البرتغالي في الخليج العربي- في القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي، ص ٨٧.

١١- خوري إبراهيم، التدمري وأحمد جلال، سلطنة هرمز العربية، ص ١٢٣.

١٢- البرتغاليون في الهند العام ١٥٠٧-١٧١٥م، انتصال الفونسو دي البوكيرك المزدوج على هرمز، كتبة أنطونيو دياز فارنها، مجلة الدراسات رقم ٤٨ عام ١٩٨٩م، الوثائق البرتغالية، دارة الدكتور سلطان القاسمي، ص ٤٥.

١٣- الخصوصي، بدر الدين عباس: دراسات في تاريخ الخليج العربي، المرجع السابق، ص ١٥٥.

١٤- اندرادي، فيريرا، يوم سقطت هرمز- مذكرات القائد البحري روي فيريرا، ترجمة عيسى أمين، اصدار مؤسسة الأيام للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع، ص ٣٩.

١٥- اندرادي، فيريرا، يوم سقطت هرمز- مذكرات القائد البحري روي فيريرا، ترجمة عيسى أمين، المرجع السابق، ص ٤٠.

16- The Persian Gulf and the Strail of Hormuz/ Ramazani K, Sijthoff & Noordhoff (International Publishers), Alphen aan den Rijn, Netherlands, xi, 180 p, 24 cm.

١٧- عبد العليم، أنور ، ابن ماجد الملاح، ص ١٢١.

١٨- بانيكار، أسيا والسيطرة الغربية، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد، القاهرة، ١٩٦٢، ص ٣٣

١٩- البرتغاليون في الهند العام ١٥٠٧-١٧١٥م، المرجع نفسه، ص ٨١.

٢٠- بن علوان، راشد علي سعيد، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في إمارات الساحل (١٩٤٥-١٩٧١)، المرجع السابق، ص ١٥٤.

٢١- جي جي لوريمير: دليل الخليج العربي وعُمان ووسط الجزيرة العربية، القسم التاريخي، ، ص ١٧٠.

٢٢- النجار، مصطفى، تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر، المرجع السابق، ص ١٤٢.

٢٣- أحمد، محمد عبد العال، البحر الأحمر والمحاولات البرتغالية الأولى للسيطرة عليه: نصوص جديدة مستخلصة من مشاهدات المؤرخ اليمني " بامخرمة " كما سجلها مخطوط (قلادة النحر)، دراسة وتحقيق، د. محمد عبد العال أحمد، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ١٩٨٩ ص ٨٩.

٢٤- النجار، مصطفى، تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر، المرجع السابق، ص ١٤٣.

٢٥- الحمدان، طارق نافع، "التحدي البرتغالي للوطن العربي ووسائل التخلص منه"، مجلة الوثيقة، العدد الثامن والعشرين، ١٩٩٦، ص ١٣٣.

٢٦- أمين، عيسى، تاريخ البرتغاليين في الخليج العربي: مذكرات دوراتي بربوسا وجون هيونان لينخوتن ومقالة تشالزبوكر، المرجع السابق، ص ١٢٤.

٢٧- أرنولد ويلسون: الخليج العربي: مجمل تاريخي من أقدم الأزمنة حتى أوائل القرن العشرين، ترجمة: د. عبد القادر يوسف، مكتبة الأمل- الكويت.(د.ت)، ١٩٨٩، ص ٣٣.

٢٨- أوزبرا، صالح، الأتراك العثمانيون والبرتغاليون في إمارات الخليج العربي ١٥٣٤-١٥٨١، ترجمة عبد الجبار ناجي، مركز دراسات الخليج العربي، جامعة البصرة، ١٩٧٩، ص٢٤.

٢٩- التميمي، حيدر عبد الرضا، مملكة هرمز في ظل الاحتلال البرتغالي (١٥٠٠-١٦٢٢)، دار وكتبة عدنان للنشر، ١٩٩٧، ص٥٨

٣٠- أوزبرا، صالح، الأتراك العثمانيون والبرتغاليون في إمارات الخليج العربي ١٥٣٤-١٥٨١، المرجع السابق، ص ٣٦.

٣١- دوارته باربوزا: تجوال في المحيط الهندي في مطلع القرن السادس عشر الميلادي، ترجمة: أحمد إيبش، المرجع السابق، ص ١٤٥

٣٢- التميمي، حيدر عبد الرضا، مملكة هرمز في ظل الاحتلال البرتغالي (١٥٠٠-١٦٢٢)، المرجع السابق، ص٧٥

٣٣- دوارته باربوزا: تجوال في المحيط الهندي في مطلع القرن السادس عشر الميلادي، ترجمة: أحمد إيبش، المرجع السابق، ص ١٤٨

٣٤- الحمدان، طارق نافع، عدن بين مطامع البرتغاليين ومطامح العثمانيين خلال النصف الأول من القرن السادس عشر، جامعة بغداد، على الرابط: https://bit.ly/2JyeDYk

٣٥- الحميدان، عبد اللطيف ناصر، التاريخ السياسي لأمارة الجبور في نجد وشرق الجزيرة العربية، مجلة كلية الآداب، جامعة البصرة، العدد١٦، ١٩٨٠، ص ٤٥.

٣٦- سلمان، محمد حميد، الغزو البرتغالي للجنوب العربي والخليج في الفترة ما بين ١٩٠٦-١٥٢٥م، العين، مركز زايد للتراث ٢٠٠٠م، ص ٧٦.

٣٧- النجار، مصطفى، تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر، المرجع السابق، ص ١٣٢.

٣٨- السلمان، محمد حميد، الغزو البرتغالي للجنوب العربي والخليج في الفترة ما بين ١٥٠٧-١٥٢٥، مركز زايد للتراث والتاريخ، العين، الإمارات العربية المتحدة، الطبعة الأولى ٢٠٠٤م، ص ٩٩.

٣٩- ذكره: كي لتسرنج، لدان الخلافة الشرقية، ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد، الطبعة الثانية، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٥، ص ٣٥٦.

٤٠- نوال حمزة يوسف الصيرفي، النفوذ البرتغالي في الخليج العربي- في القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي، المرجع السابق، ص ٩٣.

٤١- أبو القاسم ابن حوقل، كتاب صورة الأرض، بيروت دار مكتبة الحياة، ١٩٧٩.

٤٢- رحلة ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحجقيق محمد

عبد المنعم العريان، بيروت، دار إحياء العلوم، ١٩٨٧، ص ٢٧٨.

٤٣- علي أبا حسين، الجبور عرب البحرين أو عربان الشرق، الوثيقة ٣، يوليو ١٩٨٣، ص ٨٦.

٤٤- حسن محمد عبد الله النابودة، عمان الداخل من ١٥٠٧-١٦٢٤م، التركيبة القبلية والسياسية، مكانة الخليج، ص ٤٢٠.

٤٥- أحمد بن ماجد، كتاب الفوائد في أصول علم البحر والقواعد والفصول، فيأحمد بن ماجد منظر الملاحة الفلكية في المحيط الهندي وبحاره الشاطئية في القرن التاسع الهجري، الخامس عشر الميلادي، تحقيق وتحليل إبراهيم الخوري، رأس الخيمة، مركز الدراسات والوثائق، تاريخ التحقيق ١٩٨٩، ص ٢٠٩.

46- C.R.Boxer the portuguese seaborne empire1415-1825 hammondsworth pelican books 1973 p40

٤٧- العيدروس، محمد حسن، تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية. مصر، الطبعة الثانية، ١٩٩٨، ص ٦٣.

٤٨- جي جي لوريمير: دليل الخليج العربي وعُمان ووسط الجزيرة العربية، القسم التاريخي، المرجع السابق، ص ١٢٥.

٤٩- خالد السعدون، مختصر التاريخ السياسي للخليج العربي منذ أقدم حضاراته حتى سنة ١٩٧١، المرجع السابق، ص ٥٧.

٥٠- قاسم، جمال زكريا، الأوضاع السياسية في الخليج العربي إبان الغزو البرتغالي، مجلة: الوثيقة، المجلد السادس، العدد ١٢، يناير ١٩٨٨م ص ٥٦.

٥١- جان، أوبان، مملكة هرمز، المرجع السابق، ص ٩٨.

٥٢- خالد السعدون، مختصر التاريخ السياسي للخليج العربي منذ أقدم حضاراته حتى سنة ١٩٧١، جداول للنشر، بيروت، ٢٠١٢م، ص ٥٦.

٥٣- الحميدان، عبد اللطيف ناصر، التاريخ السياسي لأمارة الجبور في نجد وشرق الجزيرة العربية، مجلة كلية الآداب، جامعة البصرة، العدد١٦، ١٩٨٠، ص ٤٥.

٥٤- ربيع، حسنين محمد، تاريخ مملكة هرمز منذ قيامها حتى سقوطها، المرجع السابق، ص١٧٤.

٥٥- خوري، إبراهيم، سلطنة هرمز العربية المستقلة، المرجع السابق، ص ١٢٨.

٥٦- خوري إبراهيم، التدمري وأحمد جلال، سلطنة هرمز العربية، المرجع السابق، ص ١٥٨.

٥٧- جي جي لوريمير: دليل الخليج العربي وعُمان ووسط الجزيرة العربية، القسم التاريخي، المرجع السابق، ص ١٣٦.

٥٨- غرايبة، عبد الكريم محمود (١٩٦٠)، مقدمة تاريخ العرب الحديث، ١٥٠٠- ١٩١٨م، المرجع السابق، ص ١٣٦.

٥٩- التميمي، حيدر عبد الرضا، مملكة هرمز في ظل الاحتلال البرتغالي (١٥٠٠-١٦٢٢)، مرجع سابق، ص ١٩٦.

٦٠- العسكري، سليمان، التجارة والملاحة في الخليج العربي، المرجع السابق، ص ١٦٨.

٦١- دوارته باربوزا: تجوال في المحيط الهندي في مطلع القرن السادس عشر الميلادي، ترجمة: أحمد إيبش، المرجع السابق، ص ٧٩.

٦٢- خوري إبراهيم، التدمري وأحمد جلال، سلطنة هرمز العربية، المرجع السبق، ص ١٣٦.

٦٣- العسكري، سليمان، التجارة والملاحة في الخليج العربي، المرجع السابق، ص ١٢٢.

٦٤- الربيع، إسماعيل نوري، السيطرة البرتغالية وأثرها في نشاط الخليج البحري، مرجع سابق، ص ٩٦.

٦٥- خوري إبراهيم، التدمري وأحمد جلال، سلطنة هرمز العربية، المرجع السابق، ص ١٤٧.

٦٦- العناني، أحمد، البرتغاليون في البحرين خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر، مرجع سابق، ص ٦٨.

٦٧- قاسم، جمال زكريا، الأوضاع السياسية في الخليج العربي إبان الغزو البرتغالي، المرجع السابق، ص ١٨٩.

٦٨- التميمي، حيدر عبد الرضا، مملكة هرمز في ظل الاحتلال البرتغالي (١٥٠٠-١٦٢٢)، المرجع السابق، ص ٢١٠.

٦٩- نوال حمزة يوسف الصيرفي، النفوذ البرتغالي في الخليج العربي- في القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي، المرجع السابق، ص ٢١١.

٧٠- الحمدان، طارق نافع، عدن بين مطامع البرتغاليين ومطامح العثمانيين خلال النصف الأول من القرن السادس عشر، جامعة بغداد، على الرابط: https://bit.ly/2JyeDYk

٧١- العزي، خالد يحيى، الخليج العربي ماضيه وحاضرة، مطبعة الجاحظ، بغداد، ١٩٧٢،

ص ٥١

٧٢- اندرادي، فيريرا، يوم سقطت هرمز- مذكرات القائد البحري روي فيريرا، ترجمة عيسى أمين، المرجع السابق، ص ٤٠.

٧٣- أنور عبد العليم، ابن ماجد الملاح، القاهرة، ١٩٦٦، ص ١٢١.

٧٤- بانيكار، آسيا والسيطرة الغربية، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد، القاهرة، ١٩٦٢، ص ٣٣.

٧٥- البرتغاليون في الهند العام ١٥٠٧-١٧١٥م، انتصال الفونسو دي البوكيرك المزدوج على هرمز، كتبة أنطونيو دياز فارنها، مجلة الدراسات رقم ٤٨ عام ١٩٨٩م، المرجع السابق، ص ٧٢.

٧٦- جان، أوبان، مملكة هرمز، المرجع السابق، ص ٩٨.

٧٧- التميمي، حيدر عبد الرضا، مملكة هرمز في ظل الاحتلال البرتغالي (١٥٠٠-١٦٢٢)، المرجع السابق، ص ١٩٦.

٧٨- البرتغاليون في الهند العام ١٥٠٧-١٧١٥م، انتصال الفونسو دي البوكيرك المزدوج على هرمز، كتبة أنطونيو دياز فارنها، مجلة الدراسات رقم ٤٨ عام ١٩٨٩م، المرجع السابق، ص ٨٦.

٧٩- ويلسون، ارنولد، تاريخ الخليج، ترجمة محمد أمين، سلطنة عمان، وزارة التراث والثقافة، ط٤، ٢٠١٦، ص ٩٩.

٨٠- عبد اللطيف حميدان، التاريخ السياسي لإمارة الجبور، مرجع سابق، ص ٥١.

٨١- البرتغاليون في الهند العام ١٥٠٧-١٧١٥م، انتصار الفونسو دي البوكيرك المزدوج على هرمز، كتبة أنطونيو دياز فارنها، مجلة الدراسات رقم ٤٨ عام ١٩٨٩م، الوثائق البرتغالية، دارة الدكتور سلطان القاسمي، ص ٤٥.

٨٢- خالد بن عزام الخالدي، وإيمان الخالدي، السلطنة الجبرية في نجد وشرق الجزيرة العربية، رجع سابق، ص٩٨.

٨٣- ربيع، حسنين محمد، تاريخ مملكة هرمز منذ قيامها حتى سقوطها، المرجع السابق، ص١٧٤.

٨٤- محمد بن عبد الرحمن السخاوي، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، (بيروت: دار المكتبة الأحياء، ١٩٦٦م)، جـ ١، ١٩٠.

٨٥- أندرادي، فيريرا، يوم سقطت هرمز- مذكرات القائد البحري روي فيريرا، ترجمة عيسى أمين، إصدار مؤسسة الأيام للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع، ص ٣٩.

٨٦- البرتغاليون في الهند العام ١٥٠٧- ١٧١٥م، انتصار الفونسو دي البوكيرك المزدوج على هرمز، كتبة أنطونيو دياز فارنها، مجلة الدراسات رقم ٤٨ عام ١٩٨٩م، الوثائق البرتغالية، دارة الدكتور سلطان القاسمي، ص ٤٥.

٨٧- اندرادي، فيريرا، يوم سقطت هرمز- مذكرات القائد البحري روي فيريرا، ترجمة عيسى أمين، المرجع السابق، ص ٤٠.

٨٨- ويلسون، أرنولد، تاريخ الخليج، ترجمة محمد أمين، سلطنة عمان، وزارة التراث والثقافة، ط٤، ٢٠١٦، ص ٩٩.

٨٩- ويلسون، أرنولد، تاريخ الخليج، ترجمة محمد أمين، المرجع السابق، ص ٩٩.

٩٠- أنور عبد العليم، ابن ماجد الملاح، القاهرة، ١٩٦٦، ص ١٢١.

٩١- بانيكار، أسيا والسيطرة الغربية، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد، القاهرة، ١٩٦٢، ص٣٣.

٩٢- أنور عبد العليم، ابن ماجد الملاح، المرجع السابق، ص ١٣٢.

٩٣- البرتغاليون في الهند العام ١٥٠٧-١٧١٥م، انتصال الفونسو دي البوكيرك المزدوج على هرمز، كتبة أنطونيو دياز فارنها، مجلة الدراسات رقم ٤٨ عام ١٩٨٩م، المرجع السابق، ص ٧٢.

٩٤- بانيكار، أسيا والسيطرة الغربية، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد، المرجع السابق، ص ١١١.

95- 95 The Persian Gulf and the Strail of Hormuz/ Ramazani K, Sijthoff & Noordhoff (International Publishers), Alphen aan den Rijn, Netherlands, xi, 180 p, 24 c.

٩٦- عبد اللطيف حميدان، التاريخ السياسي لإمارة الجبور، مجلة كلية الآداب، جامعة البصرة، ع ١٦، ١٩٨٠م، ص ٤٧.

٩٧- عن نسب الجبور راجع خالد بن عزام الخالدي، وإيمان الخالدي، السلطنة الجبرية في نجد وشرق الجزيرة العربية، بيروت: الدار العربية للموسوعات، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م، ص ١٩.

٩٨- العناني، أحمد، البرتغاليون في البحرين خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر،

مجلة الوثيقة، البحرين، المجلد الثاني، العدد الرابع، يناير، ١٩٨٤م، ص ٧٤.

٩٩-نوال حمزة يوسف الصيرفي، النفوذ البرتغالي في الخليج العربي- في القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي، مرجع سابق، ص ٨٦.

١٠٠- دوارته باربوزا: تجوال في المحيط الهندي في مطلع القرن السادس عشر الميلادي، ترجمة: أحمد إيبش، وزارة شؤون الرئاسة، الأرشيف الوطني، أبوظبي، الإمارات العربية المتحدة، ٢٠١٧م، ص ٤٤.

١٠١- الربيع، إسماعيل نوري، السيطرة البرتغالية وأثرها في نشاط الخليج البحري، مرجع سابق، ص ٦٩.

١٠٢- العزي، خالد يحيى، الخليج العربي ماضيه وحاضره، مطبعة الجاحظ، بغداد، ١٩٧٢، ص ٦٩.

١٠٣- الطنيجي، محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي، رحلة ابن بطوطة: المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، بيروت، ١٩٩١م، ص ٢٧.

١٠٤- ربيع، حسنين محمد، تاريخ مملكة هرمز منذ قيامها حتى سقوطها، المرجع السابق، ص ١٧١.

١٠٥- حمد الجاسر، الدولة الجبرية في الأحساء، مجلة العرب، الجزء السابع، السنة الأولى، محرم ١٣٨٨هـ ١٩٦٧م، ص ٦٠١.

١٠٦- فائز بن موسى البدراني الحربي، من أخبار القبائل في نجد، الرياض: دار البدراني للنشر والتوزيع، ١٤١٦هـ، جـ ١، ص ١٦.

١٠٧- عبد اللطيف الناصر الحميدان، إمارة العصفوريين ودورها السياسي في تاريخ شرق الجزيرة العربية، مجلة كلية الآداب، البصرة، ع١٥س ١٩٧٩م، ص ١٠٦.

١٠٨- شهاب الدين أبو الفضل أحمد ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، بيروت: دار الجيل، ١٩٩٣م، جـ١، ص ٧٣.

١٠٩- عن نسب الجبور راجع خالد بن عزام الخالدي، وإيمان الخالدي، السلطنة الجبرية في نجد وشرق الجزيرة العربية، بيروت: الدار العربية للموسوعات، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م، ص ١٩.

١١٠- غرايبة، عبد الكريم محمود، مقدمة تاريخ العرب الحديث، ١٥٠٠- ١٩١٨م، الجزء الأول (العراق والجزيرة العربية)، دمشق.، ص ١٠٢.

١١١- محمد بن عبد الرحمن السخاوي، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، (بيروت: دار المكتبة الأحياء، ١٩٦٦م)، جـ ١، ١٩٠.

١١٢- عبد اللطيف حميدان، التاريخ السياسي لإمارة الجبور، مجلة كلية الآداب، جامعة البصرة، ع ١٦، ١٩٨٠م، ص ٤٧.

١١٣- الخصوصي، بدر الدين عباس، دراسات في تاريخ الخليج العربي، المرجع السابق، ٢١٤.

١١٤- خوري إبراهيم، التدمري وأحمد جلال، سلطنة هرمز العربية، المرجع السبق، ص ٢٦٥.

١١٥- عن نسب الجبور راجع خالد بن عزام الخالدي، وإيمان الخالدي، السلطنة الجبرية في نجد وشرق الجزيرة العربية، بيروت: الدار العربية للموسوعات، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م، ص ١٩.

١١٦- الحمدان، طارق نافع، "التحدي البرتغالي للوطن العربي ووسائل التخلص منه"، مجلة الوثيقة، العدد الثامن والعشرين، ١٩٩٦، ص ١٣٣.

١١٧- المسلط، صالح هوامش، دولة الجبور، مرجع سابق، ص ١٦٤.

١١٨- فالح حنظل، المعارك العربية البرتغالية في الخليج العربي، مجلة درع الوطن، عدد يونيو ١٩٩٠م، ص ٤٦؛ كيرفان، البحرين، ص ٢٥.

١١٩- الحمدان، طارق نافع، "التحدي البرتغالي للوطن العربي ووسائل التخلص منه"، رجع سابق، ص ١٤٤.

١٢٠- عبد اللطيف حميدان، التاريخ السياسي لإمارة الجبور، مرجع سابق، ص ٥١.

١٢١- ١٢١ عبد اللطيف الحميدان، مكانة السلطان أجود بن زامل الجبري، مجلة الدارة، الرياض، ع ٤، س ٧، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، ص ٦٦.

١٢٢- ١٢٢ عبد اللطيف حميدان، التاريخ السياسي لإمارة الجبور، مرجع سابق، ص ٥١.

١٢٣- خوري إبراهيم، التدمري وأحمد جلال، سلطنة هرمز العربية، المرجع السابق، ص ١٣.

١٢٤- البرتغاليون في الهند العام ١٥٠٧-١٧١٥م، انتصار الفونسو دي البوكيرك المزدوج على هرمز، مكتبة أنطونيو دياز فارنها، مجلة الدراسات رقم ٤٨ عام ١٩٨٩م، الوثائق البرتغالية، دارة الدكتور سلطان القاسمي، ص ٤٥.

١٢٥- بانيكار، أسيا والسيطرة الغربية، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد، القاهرة، ١٩٦٢، ص ٣.

١٢٦- التميمي، حيدر عبد الرضا، مملكة هرمز في ظل الاحتلال البرتغالي (١٥٠٠-١٦٢٢)، المرجع السابق، ص ١٨٥.

١٢٧- حمد الجاسر، الدولة الجبرية في الإحساء، مرجع سابق، ص ١٥٧.

١٢٨- عبد اللطيف الحميدان، الصراع على السلطة في دولة الجبور بين المفاهيم القبلية والملك، مرجع سابق، ص ١٢٢.

١٢٩- سلمان محمد حميد، مملكة الجبور وعلاقة البرتغاليين بالقبائل العربية الخليجية، مرجع سابق، ص ٢١٠.

١٣٠- خالد بن عزام الخالدي، وإيمان الخالدي، السلطنة الجبرية في نجد وشرق الجزيرة العربية، مرجع سابق، ص ٩٨.

المراجع

أولًا- المراجع العربية:

أحمد، محمد عبد العال، البحر الأحمر والمحاولات البرتغالية الأولى للسيطرة عليه: نصوص جديدة مستخلصة من مشاهدات المؤرخ اليمني "بامخرمة" كما سجلها مخطوط (قلادة النحر)، دراسة وتحقيق، د. محمد عبد العال أحمد، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ١٩٨٩.

أرنولد ويلسون: الخليج العربي: مجمل تاريخي من أقدم الأزمنة حتى أوائل القرن العشرين، ترجمة: د. عبد القادر يوسف، مكتبة الأمل- الكويت.(د.ت)، ١٩٨٩.

أمين، عيسى (١٩٩٦)، تاريخ البرتغاليين في الخليج العربي: مذكرات دوراتي بربوسا وجون هيونان لينخوتن ومقالة تشالزبوكر، مؤسسة الأيام البحرين، ١٩٩٦.

أمين، عيسى، تاريخ البرتغاليين في الخليج العربي: مذكرات دوراتي بربوسا وجون هيونان لينخوتن ومقالة تشالزبوكر، مؤسسة الأيام البحرين، ١٩٩٦.

أندرادي، فيريرا، يوم سقطت هرمز- مذكرات القائد البحري روي فيريرا، ترجمة عيسى أمين، اصدار مؤسسة الأيام للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع.

أنور عبد العليم، ابن ماجد الملاح، القاهرة، ١٩٦٦.

أوزبرا، صالح، الأتراك العثمانيون والبرتغاليون في إمارات الخليج العربي ١٥٣٤- ١٥٨١، ترجمة عبد الجبار ناجي، مركز دراسات الخليج العربي، جامعة البصرة، ١٩٧٩.

بانيكار، آسيا والسيطرة الغربية، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد، القاهرة، ١٩٦٢.

بدر الدين عباس الخصوصي، دراسات في تاريخ الخليج العربي، دار القلم، الكويت، ١٩٩٢.

البرتغاليون في الهند العام ١٥٠٧– ١٧١٥م، انتصار الفونسو دي البوكيرك المزدوج على هرمز، كتبة أنطونيو دياز فارنها، مجلة الدراسات رقم ٤٨ عام ١٩٨٩م، الوثائق البرتغالية، دارة الدكتور سلطان القاسمي.

البرتغاليون في الهند العام ١٥٠٧– ١٧١٥م، انتصار الفونسو دي البوكيرك المزدوج على هرمز، كتبة أنطونيو دياز فارنها، مجلة الدراسات رقم ٤٨ عام ١٩٨٩م، المرجع السابق، ص ٨٦.

بن علوان، راشد علي سعيد، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في إمارات الساحل (١٩٤٥– ١٩٧١).

التميمي، حيدر عبد الرضا، مملكة هرمز في ظل الاحتلال البرتغالي (١٥٠٠– ١٦٢٢)، دار وكتبة عدنان للنشر، ١٩٩٧.

جي جي لوريمير: دليل الخليج العربي وعُمان ووسط الجزيرة العربية، القسم التاريخي.

الحمدان، طارق نافع، "التحدي البرتغالي للوطن العربي ووسائل التخلص منه"، مجلة الوثيقة، العدد الثامن والعشرين، ١٩٩٦.

الحمدان، طارق نافع، عدن بين مطامع البرتغاليين ومطامح العثمانيين خلال النصف الأول من القرن السادس عشر، جامعة بغداد، على الرابط: https://bit.ly/2JyeDYk

خالد السعدون، مختصر التاريخ السياسي للخليج العربي منذ أقدم حضاراته حتى سنة ١٩٧١، جداول للنشر، بيروت، ٢٠١٢م.

خوري إبراهيم، التدمري وأحمد جلال، سلطنة هرمز العربية، مركز الدراسات والوثائق، رأس الخيمة، الإمارات العربية المتحدة، الطبعة الثانية، ج ١ وج ٢، ٢٠١٠.

دوارته باربوزا: تجوال في المحيط الهندي في مطلع القرن السادس عشر الميلادي، ترجمة: أحمد إيبش، وزارة شؤون الرئاسة، الأرشيف الوطني، أبوظبي، الإمارات العربية المتحدة، ٢٠١٧م.

الربيع، إسماعيل نوري، السيطرة البرتغالية وأثرها في نشاط الخليج البحري، جريدة إيلاف الإلكترونية، الثلاثاء ١١ مارس ٢٠٠٨م.

السلمان، محمد حميد، الغزو البرتغالي للجنوب العربي والخليج في الفترة ما بين ١٥٠٧– ١٥٢٥، مركز زايد للتراث والتاريخ، العين، الإمارات العربية المتحدة، الطبعة الأولى ٢٠٠٤.

الشعيلي، محمد بن حمد: الصراع العثماني البرتغالي في عمان ومنطقة الخليج، مدونة التاريخ العربي، نُشر في ٢٠٢٣/٠٤/١٠، في: https://bit.ly/2Jp4Jb6

الحمدان، طارق نافع، "التحدي البرتغالي للوطن العربي ووسائل التخلص منه"، مجلة الوثيقة، العدد الثامن والعشرين. ١٩٩٦.

العزي، خالد يحيى، الخليج العربي ماضيه وحاضرة، مطبعة الجاحظ، بغداد، ١٩٧٢.

العناني، أحمد، البرتغاليون في البحرين خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر، مجلة الوثيقة، البحرين، المجلد الثاني، العدد الرابع، يناير، ١٩٨٤م.

العيدروس، محمد حسن، سقوط الحكم البرتغالي في إمارات الخليج العربي (١٦٢٢م– ١٦٥٠م)، ط ١، دار المتنبي للطباعة والنشر، ابوظبي، ٢٠٠٢.

غرايبة، عبد الكريم محمود، مقدمة تاريخ العرب الحديث، ١٥٠٠– ١٩١٨م، الجزء الأول (العراق والجزيرة العربية)، دمشق، ١٩٦٠.

قاسم، جمال زكريا، الخليج العربي دراسة لتاريخ الامارات العربية في عصر التوسع الأوروبي الاول، ١٥٠٧–١٨٤٠م، القاهرة، دار الفكر العربي.

القيسي، عبد الوهاب، موقف العثمانيين من الغزو البرتغالي للمياه العربية، مجلة الخليج العربي، المجلد ١٢، العدد ١ سنة ١٩٨٠م.

النجار، مصطفى، تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر، منشورات اتحاد المؤرخين العرب، القاهرة. ١٩٨٤.

مونيك كيرفران، البحرين في القرن السادس عشر: جزيرة حصينة، تعريب الخزاعي، محمد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٤.

النجار، مصطفى، تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر، منشورات اتحاد المؤرخين العرب، القاهرة، ١٩٨٤.

نوال حمزة يوسف الصيرفي، النفوذ البرتغالي في الخليج العربي– في القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي.

ويلسون، أرنولد، تاريخ الخليج، ترجمة محمد أمين، سلطنة عمان، وزارة التراث والثقافة، ط ٤، ٢٠١٦.

ثانيًا– المراجع الأجنبية:

The Persian Gulf and the Strail of Hormuz/ Ramazani K, Sijthoff & Noordhoff (International Publishers), Alphen aan den Rijn, Netherlands, xi, 180 p, 24 c.

The Persian Gulf and the Strail of Hormuz/ Ramazani K, Sijthoff & Noordhoff (International Publishers), Alphen aan den Rijn, Netherlands, xi, 180 p, 24 cm.